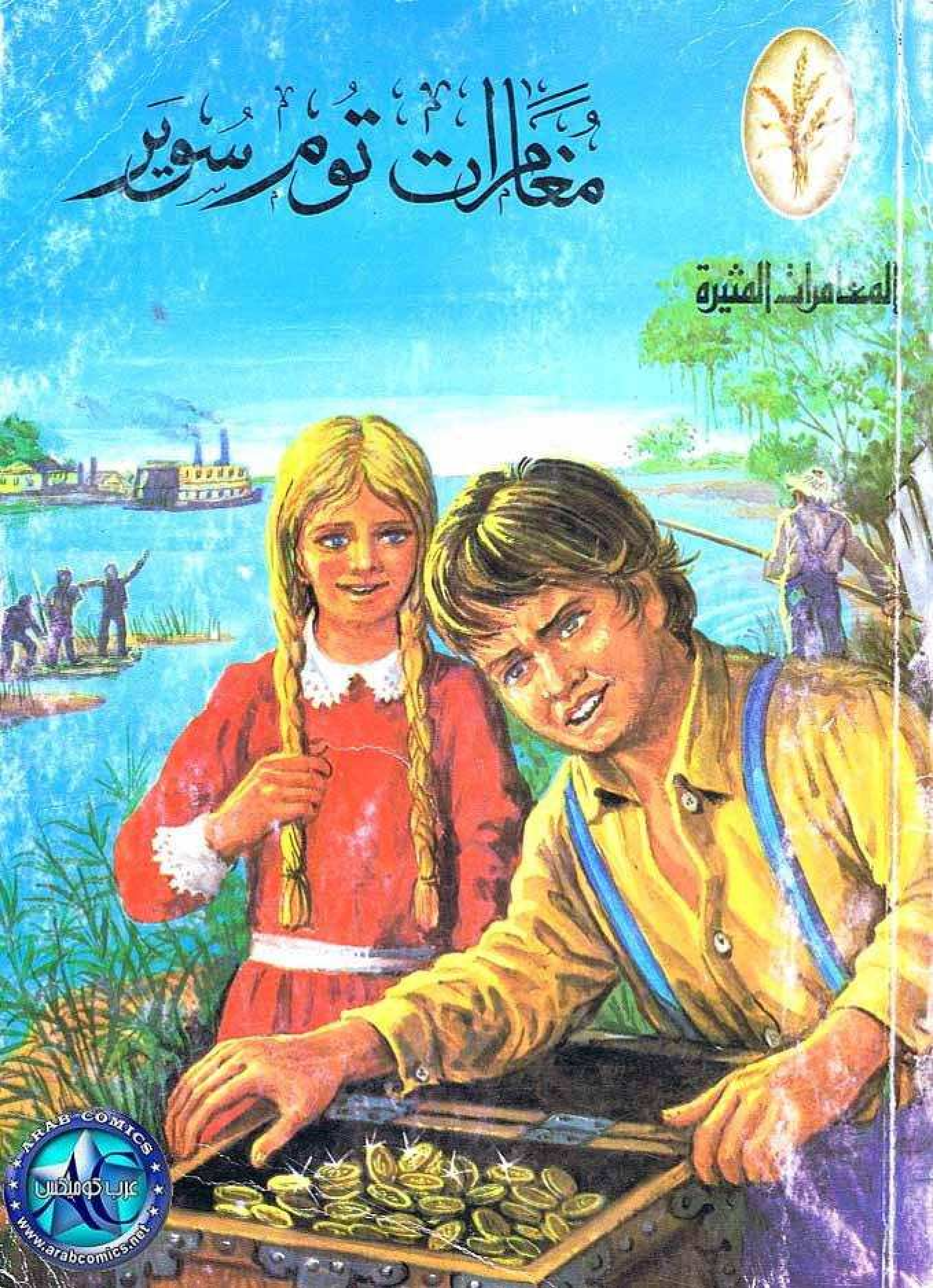

مغامرات توم سوير
المغامرات المثيرة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٦٨ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٦٨ - .

طبع في دار نوبار للطباعة



المغامرات المثيرة

مغامرات توم سوير



تأليف : مارك توين

أعدها بالعربية : ميشيل تكلا

رسوم : محمد قطب

مكتبة لبنان

الفَصْلُ الأوَّل

متاعب مستمرة

« توم !»

لا جَوابَ .

« توم !»

مَرّةً أخْرى لا جَوابَ .

« أَيْنَ ذَلِكَ الصَّبِيُّ الآنَ ؟ » تساءَلَتِ السَّيِّدَةُ في نَفْسِها ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَتْ : « لو أمْسَكْتُ بِهِ ، فَسَوْفَ ...» ولَكِنَّ القِطَّةَ كانَتْ تَحْتَ الفِراشِ ، وَ أَسْرَعَتْ هارِبَةً وَ تَوَقَّفَتِ السَّيِّدَةُ ثُمَّ أضافَتْ : « لَمْ أرَ شَخْصاً مِثلَ ذَلِكَ الصَّبِيِّ .»

وَ اتَّجَهَتْ نَحْوَ البابِ المَفْتوحِ ، وَ نادَتْ : « توم ! توم !»

وسَمِعَتْ صَوْتاً خَلْفَها ، فالتَفَتَتْ بِسُرْعَةٍ ، وَرأَتْ توم وَهُوَ يُحاوِلُ

الخُروجَ ، فَصاحَتْ بِهِ : « ما الَّذي كُنْتَ تَفْعَلُهُ بِجِوارِ تِلْكَ الخِزانَةِ ؟»

« لا شَيْء ، يا خالَتي .»

« لا شَيْءَ ؟ انْظُرْ إلى يَدَيْكَ ، وَ انْظُرْ إلى فَمِكَ في المِرْآةِ .. لَقَدْ سَرَقْتَ شَيْئاً وَ أكَلْتَهُ .. لا تَفْتَحْ تِلْكَ الخِزانَةَ ! لَقَدْ قُلْتُ لَكَ ذَلِكَ أكْثَرَ مِنْ أرْبَعينَ مَرَّةً . إلَيَّ بِهَذِهِ العَصا !»

وَ تناوَلَتِ الخالَةُ العَصا وَ رَفَعَتْها إلى أعْلى ؛ فَأصْبَحَ الخَطَرُ قَريباً جِدًّا مِنْ توم ، وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يُفكِّرَ بِسُرْعَةٍ .

صَرَخَ توم : « آه .. انْظُري خَلْفَكِ ، يا خالَتي !»

اسْتَدارَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ بِسُرْعَةٍ لِتَنْظُرَ ، فَأسْرَعَ توم بِالفِرارِ مِنَ البَيْتِ وَتَسَلَّقَ السّورَ ، وَ قَفَزَ مِنْهُ إلى الجانِبِ الآخَرِ . وَ دَهِشَتْ خالَتُهُ بولّي لِلَحْظَةٍ ، ثُمَّ أغْرَقَتْ في الضَّحِكِ .

وَ قالَتْ في نَفْسِها : « إنَّهُ ذَكِيٌّ وَلا أُحِبُّ أنْ أضْرِبَهُ ، فَهوَ ابْنُ أخْتي المِسْكينَةِ الَّتي ماتَتْ ! لَكِنْ إذا لَمْ أضْرِبْهُ فَلَنْ يُصْبِحَ رَجُلاً صالِحاً . إنَّهُ وَلَدٌ شَقِيٌّ ، وَ قَدْ لا يَذْهَبُ إلى المَدْرَسَةِ في عَصْرِ هذا اليَوْمِ . فإذا لَمْ يَذْهَبْ فَسأُعاقِبُهُ بِأنْ أجْعَلَهُ يَعْمَلُ غَداً .»

وَ لَمْ يَذْهَبْ توم إلى المَدْرَسَةِ ، وَ بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ اسْتَمْتَعَ تَماماً

بالوَقْتِ في اللَّهوِ ، وَعادَ إلى البَيْتِ مُتأخِّرًا . وَرأى جيم ، الخادِمَ الصَّغيرَ ، يُقَطِّعُ الأخْشابَ ، فَساعَدَهُ بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَقامَ جيم بِمُعْظَمِ العَمَلِ الشَّاقِّ عَلى حينَ عَمِلَ توم بِرِفْقٍ ، وَ حَكى لِجيم مُغامَراتِهِ. وَ بَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ أصْبَحَ الخَشَبُ مُعَدًّا لِلاسْتِخْدامِ في المِدْفأةِ .

وَكانَ لِتوم أخٌ أصْغَرُ اسْمُهُ سيدْني ، وكانَ هادِئَ الطَّبْعِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ المُغامَراتِ أوْ يَهْواها ، وَكانَ قَدْ فَرَغَ لِتَوِّهِ مِنْ أداءِ واجِباتِهِ المَدْرَسِيَّةِ .

وَجَلَسَ الجَميعُ لِتَناوُلِ طَعامِ العَشاءِ ، وَشَرَعَ توم يَسْرِقُ السُّكَّرَ كُلَّما حانَتْ لَهُ الفُرْصَةُ. وَلَمْ تَلْحَظْ خالَتُهُ ذلِكَ قَطُّ. وَألْقَتْ عَلَيْهِ الكَثيرَ مِنَ الأسْئِلَةِ ، فَظَنَّتْ أنَّ أسْئِلَتَها غايَةٌ في الذَّكاءِ ، وَلكِنَّ توم فَطِنَ إلى ما كانَتْ تَرْمي إلَيْهِ .

سَألَتْهُ : « هَلْ كانَ الجَوُّ حارًّا في المَدْرَسَةِ ، يا توم ؟»

« نَعَمْ ، يا خالَتي .»

« كانَ حارًّا جدًّا ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

« بَلى .»

« أ لَمْ تَكُنْ تَرْغَبُ في السِّباحَةِ ، يا توم ؟»

وَلَمْ يَكْشِفْ وَجْهُها لِتوم عَنْ أيِّ شَيْءٍ ، فأجابَ : « لا يا خالَتي .. لَيْسَ كَثيرًا .»

وَ كانَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ تَحيكُ ياقَةَ قَميصِهِ أحْيانًا ، و تُحْكِمُ إغْلاقَها . وَمِنْ ثَمَّ لا يَسْتَطيعُ فَكَّها أوْ خَلْعَ قَميصِهِ لِيَسْبَحَ ؛ فَلَمَسَتْ قَميصَهُ ، لكِنَّه كانَ جافًّا .

قالَتْ : « افْتَحْ قَميصَكَ ، يا توم ، وَدَعْني أرى ياقَتَكَ ؟»

وعِنْدَما رَأتِ الياقَةَ ، وَكانَتْ لا تَزالُ عَلى وَضْعِها ، قالَتْ : « ظَنَنْتُ أنَّكَ ذَهَبْتَ لِتَسْبَحَ ، وَلكِنَّكَ وَلَدٌ طَيِّبٌ ، وَعَلى ذَلِكَ سامَحْتُكَ .»

قالَ سيدْني : « لَقَدْ خِطْتِ ياقَتَهُ بِخَيْطٍ أبْيَضَ ، يا خالَتي ، ولكِنَّ الخَيْطَ لَوْنُهُ أسْوَدُ الآنَ . انْظُري إلَيْهِ !» فَجَرَى توم هارِبًا مِنَ البابِ ، وَهُوَ يَقولُ : « سَأضْرِبُكَ مِنْ أجْلِ ذَلِكَ ، يا سيدْ .»

وَعِنْدَما أصْبَحَ توم خارِجَ البَيْتِ ، اسْتَبَدَّ بِهِ الغَضَبُ مِنْ أخيهِ سيدْ ، وَراحَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « إنَّها تَسْتَخْدِمُ أحْيانًا خَيْطًا أبْيَضَ ، وأحْيانًا خَيْطًا أسْوَدَ ، فَكَيْفَ أتَذَكَّرُ في كُلِّ مَرَّةٍ ؟»

وَلَكِنَّ توم سَرْعانَ ما نَسِيَ مَشاكِلَهُ ؛ لأنَّهُ رَأى صَبِيًّا غَريبًا لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أنْ رَآهُ . وكان الوَلَدُ أكْبَرَ مِنْ توم ، وكانَتْ مَلابِسُهُ نَظيفَةً،

وَفي قَدَمَيهِ حِذاءٌ . وَكان توم نَفْسُهُ لا يَلْبَسُ الحِذاءَ إلّا في أيّامِ الآحادِ ، وَ لَمْ يَكُنِ اليَوْمُ يَوْمَ الأحَدِ . وَلَمْ يُعْجَبْ توم بِالوَلَدِ الغَريبِ وَ لا بِمَلابِسِهِ.

نَظَرَ إلَيْهِ توم وَقالَ : « يُمْكِنُني أنْ أطْرَحَكَ أرْضاً .»

رَدَّ الصَّبِيُّ الغَريبُ : « حاوِلْ ذَلِكَ إنِ اسْتَطَعْتَ .»

« يُمْكِنُني أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ .»

قالَ الغَريبُ : « لا ، لَنْ يُمْكِنَكَ .»

« بَلْ أسْتَطيعُ .»

« لَنْ تَسْتَطيعَ .»

« أسْتَطيعُ .»

« لَنْ تَقْدِرَ .»

« بَل أقْدِرُ .»

« لَنْ ...»

وَأعْقَبَتْ هَذِهِ المُحادَثَةَ لَحْظَةُ صَمْتٍ قَصيرةٌ سَألَهُ توم بَعْدَها :

« ما اسْمُكَ ؟»

« لَنْ أقولَ لَكَ .»

قالَ توم : « أسْتَطيعُ أنْ أطْرَحَكَ أرْضاً بِيَدٍ واحِدَةٍ ، وَيَدي الأخْرى وَراءَ ظَهْري .»

« فَلِماذا لا تَفْعَلُ ؟ تَقولُ إنَّكَ تَسْتَطيعُ ذَلِكَ .»

قالَ توم : « سَألْقي بِحَجَرٍ عَلى رَأسِكَ .»

« لا ، لَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ . إنَّكَ تَتَكَلَّمُ فَقَطْ . إنَّكَ لا تَفعَلُ شَيْئاً فأنْتَ خائِفٌ .»

« أنا لَسْتُ بِخائِفٍ .»

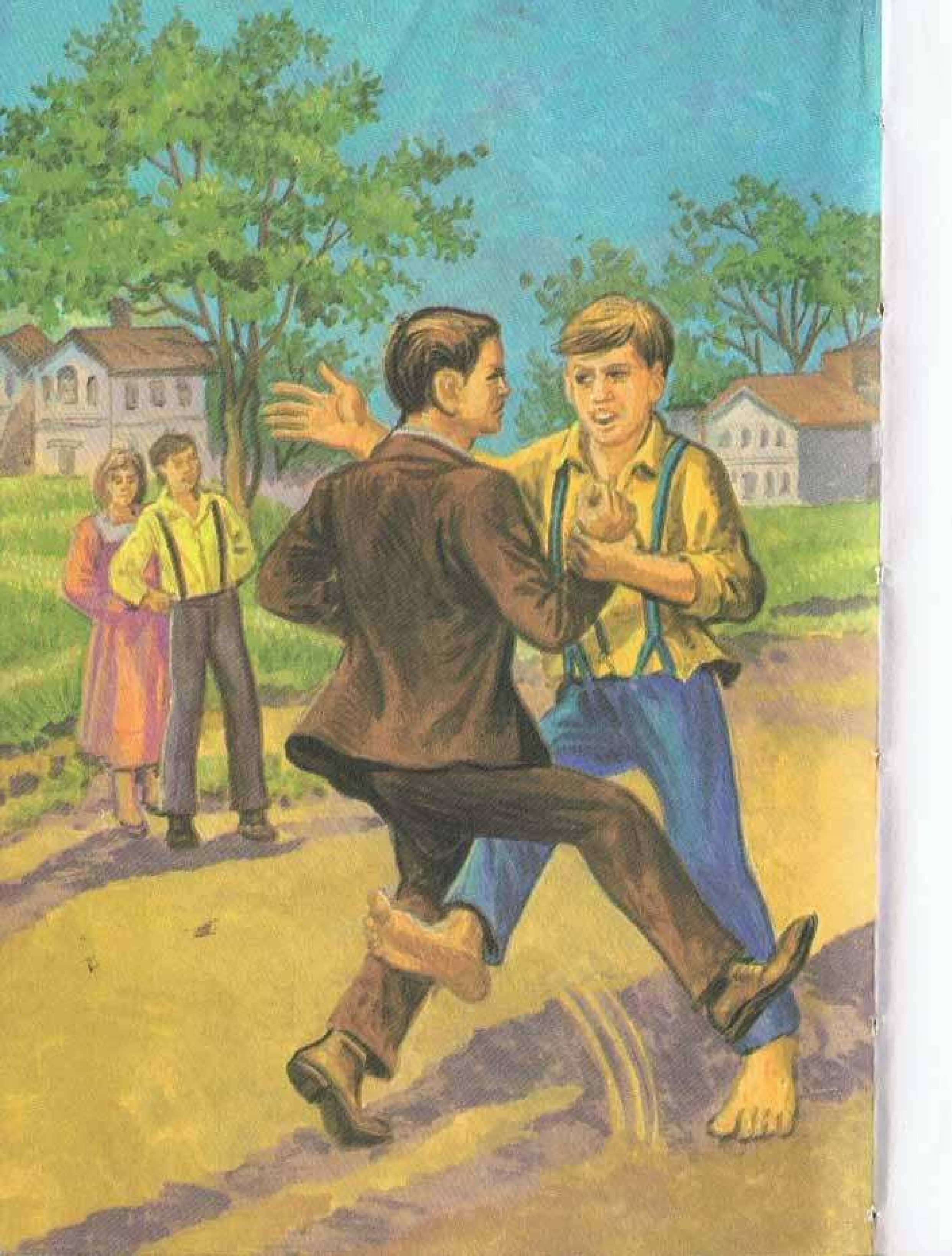
قالَ الصَّبِيُّ الغَريبُ : « بَلْ أنْتَ خائِفٌ .»

نَظَرَ كُلٌّ مِنَ الوَلَدَيْن بِغَضَبٍ إلى الآخَرِ ، وَاقْتَرَبا حَتّى تَلامَسَتْ أكْتافُهُما ، فَقالَ توم : « اذْهَبْ بَعيداً عَنْ هُنا وَإلّا قاتَلْتُكَ .»

وَ لَمْ يَتَحَرَّكِ الوَلَدُ الغَريبُ مِنْ مَكانِهِ .

وَ بَدَأ الاثْنانِ يَتَدافَعانِ ، وَاشْتَدَّ تَلاحُمُهما بَعْضَ الوَقْتِ ، ثُمَّ تَوَقَّفا لِيَسْتَريحا . وَرَسَمَ توم خَطّاً عَلى الأرْضِ بِقَدَمِهِ ، وَقالَ : « لَنْ تَجْرُؤَ عَلى تَخَطّي هذا الخَطِّ ، فَإذا فَعَلْتَ فَسَأضْرِبُكَ .»

وَفي الحالِ عَبَرَ الصَّبِيُّ الغَريبُ الخَطَّ المَرْسومَ عَلى الأرْضِ . وفي



لَحْظَةٍ كانَ الخَصْمانِ يتعارَكانِ وَسْطَ القاذوراتِ ، وَ يَتَدَحْرَجانِ عَلى الأَرْضِ ، وَسالَتِ الدِّماءُ مِنْ أَنْفَيْهِما عَلى التُّرابِ . وَسُرْعانَ ما اتَّسَخَ الاثْنانِ وَأَصْبَحَتْ مَلابِسُهُما في حالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَ انْتَهَتِ المَعْرَكَةُ بِأَنْ جَلَسَ توم فَوق غَريمِهِ قائِلاً: « هل اكْتَفَيْتَ ؟»

وَحاوَلَ الوَلَدُ الغَريبُ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ ، لكِنَّ توم ضَرَبَهُ مَرَّةً أُخْرى ، فَصَرَخَ الوَلَدُ قائِلاً : « كَفى !» فَتَرَكَهُ توم يَنْهَضُ مِن مَكانِهِ ، وبَدَأَ يَسيرُ مُبْتَعِداً ، وَهُوَ يَنْفُضُ الْغُبارَ عَنْ مَلابِسِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ بِغَضَبٍ نَحْوَ توم . لكِنَّ توم ضَحِكَ ساخِراً .

وَقَذَفَ الوَلَدُ الغَريبُ توم بِحَجَرٍ ، فَأَسْرَعَ توم يَجْري وَراءَهُ ، وَأَخيراً دَخَلَ الوَلَدُ بَيْتَهُ ، فَرَآهُ توم فَوَقَفَ لكِنَّ والِدَةَ عَدُوِّهِ رَأَتْهُ فَقالَتْ إِنَّ توم وَلَدٌ شِرّيرٌ ، فَسارَ مُبْتَعِداً بِبُطْءٍ .

وَعِنْدَما وَصَلَ توم إِلى مَنْزِلِهِ كانَتِ الخالَةُ بوللي في انْتِظارِهِ . وَنَظَرَتْ إِلى مَلابِسِهِ المُتَّسِخَةِ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُها مِنْهُ ، وَقالَتْ لَهُ بِحَزْمٍ : « سَأُعاقِبُكَ عَلى ذَلِكَ ، بِأَنْ أُكَلِّفَكَ بِالقِيامِ بِبَعْضِ الأَعْمالِ غَداً .»

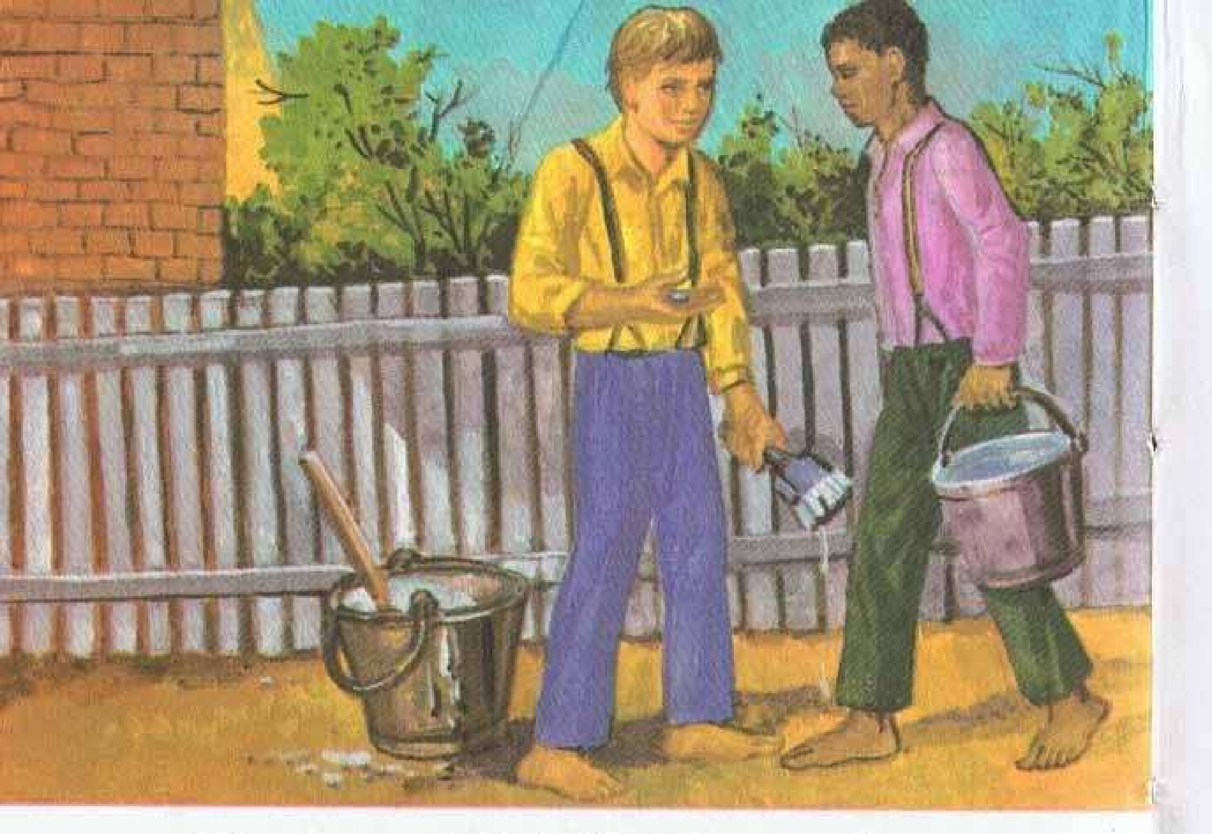
الفصل الثاني

توم يُدْهِش الخالة بوللي

كانَ يَوْمُ السَّبْتِ صَحْواً ، وَالعالَمُ يَبْدو سَعيداً ؛ فَالزُّهورُ وَالأَشْجارُ رائِعَةُ الجَمالِ في ذَلِكَ الصَّباحِ المُبْهِجِ . وَ أَرادَ توم أَنْ يَذْهَبَ إلى تَلِّ كارْديف الواقِعِ وَراءَ القَرْيَةِ ، وَ لكِنَّهُ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ حَزيناً .

كانَتْ فُرْشاةٌ في إِحْدى يَدَيْهِ ، وَ دَلْوٌ في اليَدِ الأُخْرى ، وَ قَدِ امْتَلأَ الدَّلْوُ بِطِلاءٍ جِيرِيٍّ أَبْيَضَ . وَكانَ عَلى توم اسْتِخْدامُهُ لِطِلاءِ السّورِ . وَ نَظَرَ توم بِأَسًى وَ حُزْنٍ إلى السّورِ الَّذي كانَ طولُهُ نَحْوَ ثَلاثينَ مِتْراً ، وَ ارْتِفاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِتْرَيْنِ . وَ بَدَتِ الحَياةُ لِتوم كَئيبَةً جِدًّا .

وَ غَمَسَ توم الفُرْشاةَ في الطِّلاءِ الأَبْيَضِ ، وَ حَرَّكَها فَوْقَ الخَشَبِ ؛ فَتَرَكَتْ عَلامَةً بَيْضاءَ ، وَ لكِنَّها كانَتْ عَلامَةً صَغيرَةً جِدًّا . ثُمَّ نَظَرَ توم إلى بَعيدٍ فَرَأى جيم وَ هُوَ يَحْمِلُ دَلْواً آخَرَ لِيَمْلأَهُ



بِالماءِ مِنَ الطُّلُمْبَةِ . وَتَذَكَّرَ توم أَنَّ ثَمَّةَ أَوْلاداً آخَرينَ عِنْدَ الطُّلُمْبَةِ ، وَقَدْ يَتَحَدَّثُ جيم مَعَهُمْ ، وَ لكِنْ لا وُجودَ لِلأَوْلادِ عِنْدَ السّورِ .

وَنادى توم بِأَعْلى صَوْتِهِ : « جيم ! سَأَمْلأُ دَلْوَكَ بِالماءِ لَوْ عاوَنْتَني في طِلاءِ السّورِ . »

أَجابَهُ جيم : « لا ؛ فَالسَّيِّدَةُ أَمَرَتْني بِألا أُطْلِيَ السّورَ . وَقالَتْ لا بُدَّ أَنْ أَعودَ بِالماءِ . »

صَرَخَ توم في وَجْهِهِ : « إِنَّها دائِماً تَتَكَلَّمُ عَلى هَذا النَّحْوِ . أَعْطِني هَذا الدَّلْوَ لأُحْضِرَ الماءَ ، وَ سَأُعْطيكَ « بِلْيَةً » مُقابِلَ ذَلِكَ ، يا جيم . »

أجابَهُ جيم : « بِلْيَةً !» وَ تَرَدَّدَ ؛ لأَنَّهُ يُحِبُّ « البِلْيَ » ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ : « وَ لكِنِّي خائِفٌ مِنَ السَّيِّدَةِ العَجوزِ .»

وَأَسْرَعَ توم بِإِخْراجِ « بِلْيَةٍ » مِنْ جَيْبِهِ ، وَأَمْسَكَها بِيَدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْها جيم بِجَشَعٍ ؛ وَ وَضَعَ الدَّلْوَ عَلى الأَرْضِ وَ أَخَذَ « البِلْيَةَ » وَلَمْ يَفْطِنْ إِلى الخالَةِ بوللي ، وَهِيَ واقِفَةٌ خَلْفَهُ ، وَ قَدْ أَمْسَكَتْ بِحِذائِها ، وَ ضَرَبَتْهُ بِهِ .

وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ كانَ جيم يَجْري عَلى طولِ الشّارِعِ ، في حينِ كانَ توم يَطْلي السّورَ بِهِمَّةٍ وَ نَشاطٍ . وَلَوَّحَتِ الخالَةُ بوللي بِحِذائِها مِنْ فَوْقِ رَأْسِها ثُمَّ عادَتْ إِلى البَيْتِ .

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ تَوَقَّفَ توم عَنِ الطِّلاءِ ، وَأَلْقى بِالفُرْشاةِ جانِباً ، وَأَخْرَجَ كُلَّ ما في جُيوبِهِ مِنْ « بِلْيٍ » قَديمٍ ، وَقِطَعٍ مِنَ الخَيْطِ وَاللُّعَبِ وأَشْياءَ كَثيرةٍ أُخْرى . وَ نَظَرَ إِلى هذِهِ الأَشْياءِ نَظْرَةً حَزينَةً ، وقالَ : « لا أَحَدَ يُريدُ هذِهِ الأَشْياءَ ، وَ لَنْ يَطْلِيَ أَحَدٌ السّورَ إِذا أَعْطَيْتُهُ « بِلْيَةً » وَلَنْ يَعْمَلَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ قِطْعَةِ خَيْطٍ .»

وَلكِنْ سُرْعانَ ماخَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ؛ فالتَقَطَ الفُرْشاةَ مَرَّةً أُخْرى ، وَ ظَهَرَ أَمامَهُ بِنْ روجَرْز ، وَكانَ يَأْكُلُ تُفّاحَةً وَهُوَ في غايَةِ السَّعادَةِ . وَكانَ يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ سَفينَةٌ كَبيرَةٌ ، وَ تَحَرَّكَ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ عَلى طولِ

الطَّريقِ ، وَ دارَ مِنْ جانِبٍ إِلى جانِبٍ . وَفي صَوْتٍ عالٍ أَعْطى أَوامِرَ أَطاعَتْها السَّفينَةُ في الحالِ .

لَمْ يَنْتَبِهْ توم لِلسَّفينَةِ الغَريبَةِ و ظَلَّ يَطْلِي السّورَ ، وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، وَلكِنَّ بِنْ لاحَظَ وُجودَ توم ، فَناداهُ : « توم ! ما الَّذي تَفْعَلُهُ ؟ هَلْ أَنْتَ في مَأْزِقٍ ، يا وَلَدي ؟ إِنَّكَ تَعْمَلُ !»

طَلى توم جُزْءاً آخَرَ مِنَ السّورِ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً ؛ ثُمَّ وَقَفَ وِقْفَةَ فَنّانٍ ، وَأَلْقى نَظْرَةً عَلى الطِّلاءِ الأَبْيَضِ .

قالَ بِنْ مَرَّةً أُخْرى : « توم ! لِماذا أَنْتَ تَعْمَلُ ؟»

رَدَّ توم : « آهِ ، إِنَّه أَنْتَ ! لَمْ أَلْحَظْ وُجودَكَ .»

قالَ بِنْ : « إِنَّني ذاهِبٌ لِلسِّباحَةِ وَ أَنْتَ لا تُريدُ أَنْ تَأْتِيَ . هَلْ تُريدُ ؟ أَرى أَنَّكَ تُريدُ أَنْ تَعْمَلَ فَذلِكَ أَفْضَلُ كَثيراً .» ثُمَّ ضَحِكَ بِنْ بِصَوْتٍ عالٍ .

نَظَرَ توم إِلى بِنْ بِهُدوءٍ ، ثُمَّ قالَ : « ما العَمَلُ ؟ ماذا تُسَمّي العَمَلَ ؟»

أَجابَ بِنْ : « أَ لَيْسَ ذلِكَ عَمَلاً ؟»

رَدَّ توم : « رُبَّما .» ثُمَّ عادَ إِلى عَمَلِهِ قائِلاً : « إِنَّهُ يُناسِبُني .»

صاحَ بِنْ : « ماذا ؟» وَقَدْ أخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ فعادَ يَقولُ : « هَلْ يُعْجِبُكَ هذا العَمَلُ ؟»

« لِمَ لا ؟ فَنادِراً ما يَحْصُلُ الواحِدُ مِنّا على فُرْصَةٍ كَهَذِهِ . إنَّكَ لَمْ تَطْلِ سوراً مِنْ قَبْلُ . هَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟»

غَيَّرَتْ هذهِ المُحادَثَةُ أفكارَ بِنْ ، في حِينَ تَحَرَّكَتْ فُرْشاةُ توم بِنُعومَةٍ على الخَشَبِ ، وبِنْ يُراقِبُهُ ، ثُمَّ صاحَ : « توم ! دَعْني أطْلي السّورَ قَليلاً !»

وَ فَكَّرَ توم ، وَكادَ يُوافِقَ ، لَكِنَّهُ قالَ : « لا يا بِنْ ، عَلَيَّ أن أطْلِيَ السّورَ جَيِّداً . وَلا بُدَّ أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسي ؛ لِكَيْ يَكونَ جَميلاً عِنْدَما أنْتَهي مِنْهُ . قالَتْ خالَتي لا بُدَّ أنْ أطْلِيَهُ بِحَذَرٍ شَديدٍ .»

« بَلْ دَعْني أجَرِّبْ قَليلاً !»

« لا ، يا بِنْ . لَقَدْ أمَرَتْني خالَتي أنْ أطْلِيَهُ وَحْدي ، فَإذا طَلَيْتَهُ أنْتَ فَسَوْفَ تَرْتَكِبُ خَطَأً ؛ فَأنْتَ لا تُجيدُ الطِّلاءَ .»

« لَنْ أرْتَكِبَ خَطَأً ، وَسَأُعْطيكَ تُفّاحَتي .»

وَظَهَرَتْ على وَجْهِ توم عَلاماتُ الشَّكِّ ، وَ لَكِنَّهُ ناوَلَ بِن الفُرْشاةَ ، وارْتَسَمَتْ على وَجْهِهِ الكآبَةُ لكِنَّ قَلْبَه كانَ فَرِحاً .

وَعَمِلَ بِنْ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ ، وَ سَرْعانَ ما أحَسَّ بِحَرارَةِ الجَوِّ ، في حينَ جَلَسَ توم على الأرْضِ يَأكُلُ التُّفّاحَةَ ، وَراحَ يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ وَيَنْسِجُ خُطَطًا أخْرى .

وَاكْتفى بِنْ بِما قامَ بِهِ مِنْ طِلاءِ السّورِ وَ غادَرَ المَكانَ . وَ لَكِنْ جاءَ أوْلادٌ آخَرونَ ، وَ سَخِروا مِنْ توم عِنْدَما رَأوْهُ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى كانوا هُمْ أيْضاً يَطْلونَ السّورَ . وَبِالطَّبْعِ كانَ عَلَيْهِم أنْ يَدْفَعُوا لِتوم مُقابِلَ المُتْعَةِ العَظيمَةِ الّتي تَمَتَّعوا بِها ، وَ كانَتْ حَصيلَتُهُ بَعْضَ حيواناتٍ نافِقَةٍ وَ قِطَعاً مِنَ الخُيوطِ . وأعْطَوْهُ أيْضاً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ « بِلْيَةً » وَ بَعْضَ قِطَعِ الزُّجاجِ الأزْرَقِ اللَّوْنِ مِنْ قارورَةٍ . كَما حَصَلَ عَلى تِمْثالٍ جُنْدِيٍّ مِنَ الصَّفيحِ ، وَ مِفْتاحٍ لَمْ يَفْتَحْ أيَّ شَيْءٍ بِالطَّبْعِ . وَحَصَلَ أيْضاً عَلى طَوْقٍ يُعَلَّقُ بِرَقَبَةِ كَلْبٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ على كَلْبٍ . وَ كانَ مَعَهُ مِقْبَضُ سِكّينٍ وأرْبَعَةُ أجْزاءٍ مِنْ بُرْتُقالَةٍ . وَ تَكاسَلَ توم بَعْضَ الوَقْتِ ، وَ لَمْ يُؤَدِّ عَمَلاً آخَرَ بَعْدَ أنْ طَلى السّورَ بِثَلاثِ طَبَقاتٍ مِنَ الطِّلاءِ .

وَاكْتَشَفَ توم قانوناً عظيماً على النَّحْوِ التّالي : إذا لَمْ يَنَلْ إنْسانٌ شَيْئًا ما ، فَعَلَيْهِ أنْ يُلِحَّ في طَلَبِهِ . وإذا كانَ عَلى الإنْسانِ أنْ يَفْعَلَ شَيْئًا ، فَالشَّيْءُ هُوَ العَمَلُ . فإذا لَمْ يَكُنْ راغِبًا في أدائِهِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ عَمَلاً . إنَّ تَسَلُّقَ جَبَلٍ شاهِقٍ مُتْعَةٌ ؛ لأنَّهُ لا حاجَةَ لأيِّ إنسانٍ

أنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ . فَقِيادَةُ عَرَبَةٍ لِنَفْسِكَ مُتْعَةٌ أيْضاً ، وَ لَكِنَّ قِيادَةَ عَرَبَةٍ لِغَيْرِكَ هُوَ عَمَلٌ .

الفصل الثالث

فتاة الحديقة

تَساءَلَ توم : « هَلْ أسْتَطيعُ أنْ أذْهَبَ لألْعَبَ الآنَ ، يا خالَتي ؟»

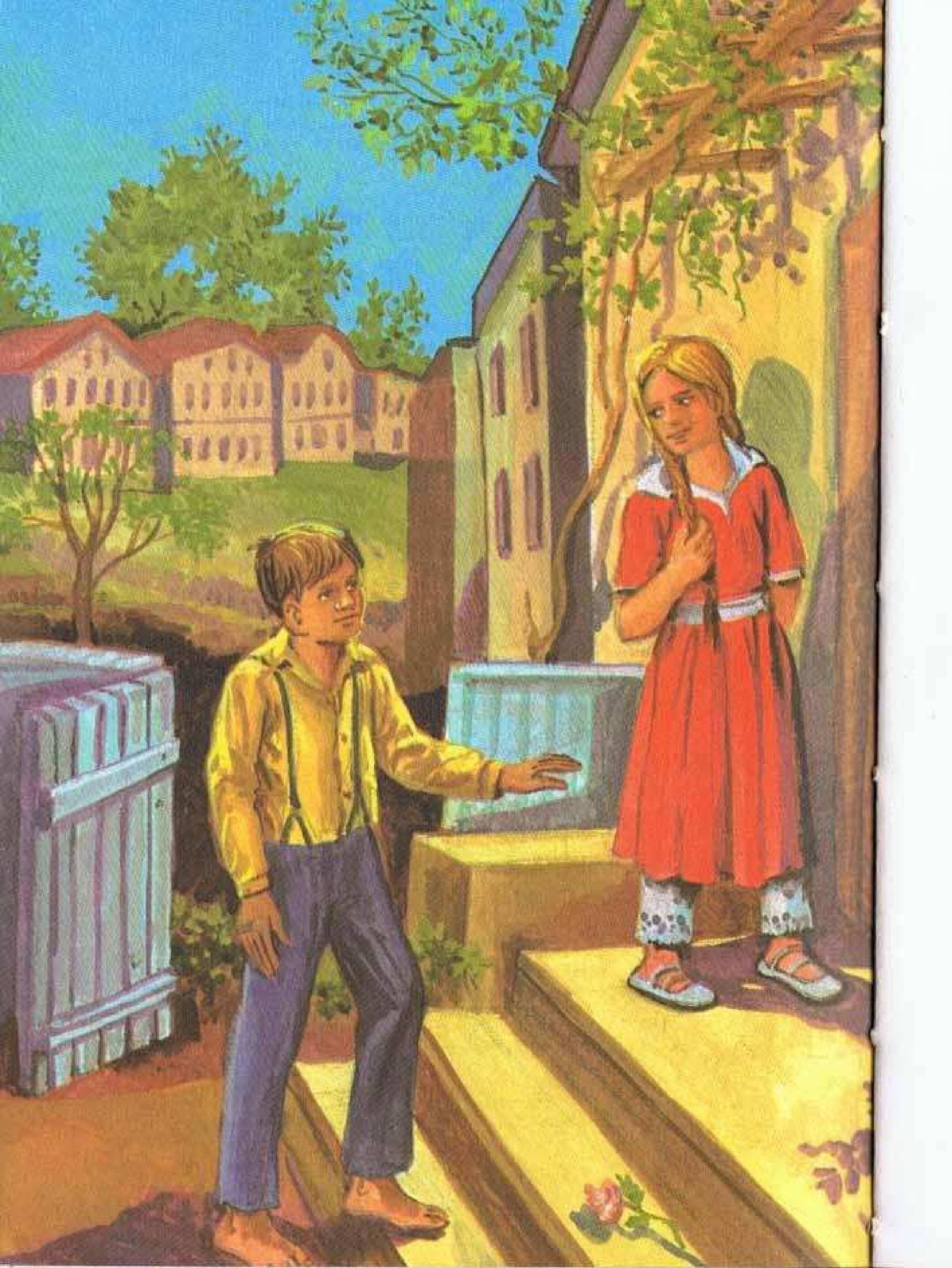
صاحَتْ : « الآنَ ؟ كَمْ مِنَ السّورِ طَلَيْتَ ؟»

رَدَّ توم : « إنَّ السّورَ أبْيَضُ اللّوْنِ الآنَ ، يا خالَتي .»

« توم ! لا تَكْذِبْ عَلَيَّ فَأنا لَمْ أعُدْ أحْتَمِلُ ذَلِكَ .»

« أنا لا أكْذِبُ ، يا خالَتي .»

وَ خَرَجَتِ الخالَةُ لِتُلْقِيَ نَظْرَةً على السّورِ ، وَ دَهِشَتْ عِنْدَما رَأتْهُ. وَ لَمْ تَسْتَطِعِ الكَلامَ لَحْظَةً ثُمَّ قالَتْ : « آه ، يا توم ! تَسْتَطيعُ أنْ تَعْمَلَ عِنْدَما يَحْلو لَكَ ذَلِكَ ، وَ لَكِنَّكَ لا تُريدُ أنْ تَعْمَلَ بَيْنَ وَقْتٍ وآخَرَ . ألَيْسَ كَذَلِكَ ؟ يُمْكِنُكَ أنْ تَذْهَبَ الآن لِتَلْعَبَ ، ولَكِنْ



لا تَتأَخَّرْ عِنْدَ عَوْدَتِكَ .» وابْتَسَمَتْ لَهُ السَّيِّدةُ العَجوزُ وَأَعْطَتْهُ تُفّاحَةً .

وَعِنْدَما خَرَجَ توم مِنَ المَنْزِلِ رَأى أخاه سِيدْ فَقَذَفَهُ بِبَعْضِ الحَصى ، ثُمَّ انْطَلَقَ مُتَّجِهاً نَحْوَ القَرْيَةِ . وَهُناكَ التَقى فَريقانِ مِنَ الأَوْلادِ عَلى هَيْئَةِ جُنودٍ لِلْقِتالِ . وَقادَ توم بِنَفْسِهِ أَحَدَ الجَيْشَيْنِ وَصَديقُهُ جو هارْبَر الجَيْشَ الآخَرَ . وَدارَتْ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الجَيْشَيْنِ ، كُتِبَ النَّصْرُ فيها لِجَيْشِ توم ، ثُمَّ حَدَّدَ الأَوْلادُ مَوْعِدَ المَعْرَكَةِ التّالِيَةِ ، وَبَدَأَ توم العَوْدَةَ إلى بَيْتِهِ .

وَعِنْدَما مَرَّ توم بِمَنْزِلِ جيف ثاتْشَر شاهَدَ فَتاةً لَمْ يَرَها مِنْ قَبْلُ . وَكانَ شَعْرُها أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، وَ عَيْناها زَرْقاوَيْنِ . وَكانَ مُعْجَباً بِفَتاةٍ تُدْعى آمي لورانْس ، وَلٰكِنَّه سَرْعانَ ما نَسِيَها عَلى الفَوْرِ . وَكانَ قَدْ كَدَّ شُهوراً طَويلَةً كَيْ يَحْظى بِحُبِّ آمي لورانس ، وَلٰكِنَّها الآنَ قَدِ اخْتَفَتْ مِنْ تَفْكيرِهِ . وَراحَ يُراقِبُ الفَتاةَ الجَديدَةَ مُخْتَلِساً النَّظَرَ إِلَيْها لِبَعْضِ الوَقْتِ ، وَلٰكِنَّها لَمَحَتْهُ . وَتَظاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَها ، وَحاوَلَ أَنْ يَقومَ بِبَعْضِ المَهاراتِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَرَآها تَتَّجِهُ نَحْوَ البَيْتِ ، فَبَدا الأَسى عَلى وَجْهِهِ . وَأَخَذَتْ تَرْتَقي الدَّرَجَ ، وَلٰكِنَّها في آخِرِ لَحْظَةٍ أَلْقَتْ بِزَهْرَةٍ عَبْرَ السّورِ .

وَجَرى توم نَحْوَ الزَّهْرَةِ وَالتَقَطَها سِرًّا وَدَسَّها في جَيْبِ سُتْرَتِهِ بِالقُرْبِ مِنْ قَلْبِهِ . وَانْتَظَرَ بِجِوارِ السّورِ لِوَقْتٍ طَويلٍ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما

حلَّ الليْلُ لَمْ تخرُجِ الفتاةُ ثانيَةً ، فعادَ إلى بيْتِهِ ببُطْءٍ .

وَ وبَّخَتْهُ خالَتُه لِما فعَلَهُ بأخيهِ سيدْ ، كَما ضَرَبَتْهُ لِسرِقَتِهِ بَعْضَ قِطَعٍ مِنَ السُّكَّرِ .

قالَ توم وَهُوَ مُنْفَعِلٌ : « إنَّكِ لا تَضْرِبينَ سيدْ أبَداً عِنْدَما يَسْرِقُ قِطَعَ السُّكَّرِ .»

أجابَتْهُ : « إنَّ سيدْ وَلَدٌ أفْضَلُ مِنْكَ .» ثُمَّ ذَهبَتْ إلى المَطْبَخِ .

وَامْتَدَّتْ يَدُ سيدْ إلى عُلْبَة السُّكَّرِ وَ دَفَعَها ، فَسَقَطَتْ على الأرْضِ مِنْ فَوْقِ المائِدَةِ وَ تَحَطَّمَتْ . وَ فَرِحَ توم فَرَحاً عَظيماً لِهذِهِ الحادِثَةِ ، وَقالَ في نَفْسِهِ : « عِنْدَما تَعُودُ خالَتي سَتَغْضَبُ مِنْ سيدْ .» وَ انْتَظَرَ عَوْدَتَها بِفَرَحٍ وَسُرورٍ .

وَلَمّا عادَتِ الخالَةُ لاحَظَتْ على الفَوْرِ عُلْبَةَ السُّكَّرِ المُحَطَّمَةَ، وَأَدْخَلَ وَجْهُها الغاضِبُ السُّرورَ والسَّعادَةَ على توم ، وارْتَسَمَتْ الابْتِسامَةُ على مُحَيّاهُ . وَ لكِنْ فَجْأَةً أَلْقَتْ بِهِ على الأرْضِ .

صَرَخَ توم : « لِماذا تَضْرِبينَني ؟ سيدْ هُوَ الّذي حَطَّمَ العُلْبَةَ وَلَمْ أُحَطِّمْها أنا .»

لَمْ تَفُهْ السَّيِّدةُ العجوزُ بِكَلِمةٍ ، وَأحسَّتْ فَجْأَة بِالأَسَفِ نَحْوَ توم.

وَأرادَتْ أنْ تَتَكَلَّمَ بِحنانٍ ، وَ لكِنْ كانَ ذَلِكَ صَعْباً عَلَيْها . وَأخيراً قالَتْ : « يَجِبُ عَلَيَّ أن أضْرِبَكَ بَيْنَ وَقْتٍ وَ آخَرَ ، فَأنْتَ وَلَدٌ شَقيٌّ سَيِّءٌ .» وَلَمْ تَقُلْ شَيْئاً أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَمِلَتْ في صَمْتٍ . أمّا توم فَقَدْ فَهِمَ ما تَرْمي إلَيْهِ ، وَظَلَّ هادِئاً في رُكْنٍ مِنْ أرْكانِ الغُرْفَةِ يَتَأَلَّمُ لِحالِهِ . وَحاولَ أنْ يَتَخَيَّلَ أنَّه ماتَ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إذا مِتُّ فَسَوْفَ تَشْعُرُ خالَتي بِالأسى وَالحُزْنِ على فِراقي .» وَتَخَيَّلَها مُنْحَنِيَةً فَوْقَهُ وَهِيَ تَبْكي ، وَتَقولُ : « لَيْتَهُ يَغْفِرُ لي !» لكِنَّه أدارَ وَجْهَهُ تُجاهَ الحائِطِ وَتَماوَتَ . وَلكِنَّ خالَتَهُ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً، فَشَعَرَ بِحُزْنٍ عَميقٍ وَبَدَأ يَبْكي في سُكونٍ .

وَفَجْأةً ظَهَرَتْ ماري ابْنَةُ خالَتِهِ ، وَ بَدَأتْ تَرْقُصُ بِسَعادَةٍ في أرْجاءِ الغُرْفَةِ . وَلَمْ يَتَحَمَّلْ توم النَّظَرَ إلى عَيْنَيْها اللاّمِعَتَيْنِ فَخَرَجَ مِنَ البَيْتِ وَسارَ حَتّى بَلَغَ النَّهْرَ ، وَجَلَسَ على ضِفَّتِهِ . وأخْرَجَ الزَّهْرَةَ مِنْ جَيْبِ سُتْرَتِهِ وَ راحَ يَنْظُرُ إلَيْها بِحُزْنٍ . وَقالَ في نَفْسِهِ : « تُرى هَلْ هَذِهِ الفَتاةُ قاسِيَةٌ أيْضاً ، أمْ هِيَ فَتاةٌ عَطوفٌ ؟»

وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ لَيْلاً كانَ توم خارِجَ مَنْزِلِها مَرَّةً ثانِيَةً . وَكانَ الصَّمْتُ يُحيطُ بِالمَنْزِلِ ، وَالنَّوافِذُ مُظْلِمَةً بِاسْتِثْناءِ نافِذَةٍ واحِدَةٍ ، فَتَسَلَّقَ السّورَ وَسارَ بِهُدوءٍ في الحَديقَةِ وَ وَقَفَ تَحْتَ النّافِذَةِ لَحْظَةً ، وَتَساءَلَ هَلْ هِيَ هُناكَ في الدَّوْرِ العُلْوِيِّ ؟ وَجَلَسَ على

الأَرْضِ تَحْتَ النَّافِذَةِ مُمْسِكاً بالزَّهْرَةِ في يَدِهِ يُفَكِّرُ في الفَتاةِ . وَرأى أنْ يَتظاهَرَ بِالمَوْتِ على النَّحْوِ الَّذي فَعلَهُ قَبْلاً في بَيْتِ خالَتِهِ ، وَ قالَ في نَفْسِهِ : « سَتَراني في الصَّباحِ جُثَّةً هامِدَةً ، وَ رُبَّما تَبكي عليَّ قليلاً لأنني سأكونُ ميّتاً .»

وَ فَجْأةً فَتحَ شَخصٌ النَّافِذَةَ وأَطْلَقَ صَيْحَةً . وَ سَقَطَتْ على الفَتى الشُّجاعِ كَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الماءِ البارِدِ ، فَهَبَّ واقِفاً بِسُرْعَةٍ على قَدَمَيْهِ . وَ طارَ شَيْءٌ في الهَواءِ بالقُرْبِ مِنْ رَأسِهِ ، ثُمَّ رأى شَيْئاً أسْوَدَ اللَّوْنِ يَتحَرَّكُ . تُرَى هَلْ كانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ قِطَّةً ؟ لَقَدْ قَفَزَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْ فَوْقِ السّورِ وَاخْتفى في ظَلامِ اللَّيْلِ .

الفصل الرابع

يَوْمُ الاثْنَيْنِ يَبْدَأ بِدايَةً سَيِّئَة

اعْتادَ توم الخُروجَ صَباحَ أيّامِ الاثْنَيْنِ كاسِفَ البالِ حَزيناً ، وَ لَمْ يَحْدُثْ أنْ أحسَّ بِالسَّعادَةِ في أيِّ يَوْمِ اثْنَيْنِ ؛ وَذَلِكَ لأنَّهُ يَبْدَأُ بِأُسْبوعٍ جَديدٍ يَقْضيهِ في المَدْرَسَةِ . وَاسْتَلْقى على فِراشِهِ وَراحَ يُفكِّرُ في خُطَّةٍ جَديدَةٍ ، وَ تَمَنّى لَوْ كانَ مَريضاً ، فَالأطْفالُ المَرْضى يَمْكُثونَ في بُيوتِهِمْ ، وَلا يَذْهَبونَ إلى المَدْرَسَةِ . وَ فَحَصَ توم نَفْسَهُ لِيَرى إنْ كانَ يَشْكو مِنْ شَيْءٍ : فَمَعِدَتُهُ في حالَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَ لكِنَّه اكْتَشَفَ سِنّاً غَيْرَ ثابِتَةٍ في فَمِهِ ؛ فَهَذا إذاً فَأْلٌ حَسَنٌ ، وَلكِنَّهُ تَذَكَّرَ أنَّ خالَتَهُ اعْتادَتْ أنْ تَخْلَعَ أيَّةَ سِنٍّ مُقَلْقَلَةٍ . وَ لَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ لأنَّهُ يُسَبِّبُ ألَماً شَديداً .

وَ فَجْأةً تَذَكَّرَ توم كَلِماتٍ قالَها طَبيبٌ عَنْ إصْبَعٍ مُلْتَهِبَةٍ نَتيجَةَ تَلَوُّثِها بِبَعْضِ الأوْساخِ ، وَ بَدَتْ على وَجْهِ الطَّبيبِ نَظْرَةٌ جادَّةٌ صارِمَةٌ . فَرَفَعَ توم قَدَمَهُ إلى أعْلى ، وَ نَظَرَ بِإمْعانٍ في أصابِعِ قَدَمِهِ

لَعَلَّهُ يَجِدُ بَيْنَ أَصابِعِهِ إِصْبَعاً مُلْتَهِبَةً ، وَعَلَيْهِ بَدَأَ يَئِنُّ وَ يَتَأَوَّهُ .

وَ عَلا تَأَوُّهُ توم ، وَ لكِنَّ سِيدْ لَمْ يَسْتَيْقِظْ ، وَعادَ توم يَئِنُّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَ مَعَ ذَلِكَ ظَلَّ سِيدْ مُسْتَغْرِقًا في نَوْمِهِ . ثُمَّ صَرَخَ توم بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مُنادِيًا : « سِيدْ ! سِيدْ ! » وَ هَزَّهُ فَاسْتَيْقَظَ سِيدْ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إلى توم . وَفي الحالِ تَأَوَّهَ توم مَرَّةً أُخْرى .

صَرَخَ سِيدْ : « توم ! توم ! ما الأَمْرُ ؟ ماذا حَدَثَ ؟ » ثُمَّ هَزَّ توم بِعُنْفٍ .

صاحَ توم بِدَوْرِهِ : « لا تَهُزَّني عَلى هَذا النَّحْوِ . » ثُمَّ عادَ إلى تَأَوُّهِهِ .

« لكِنْ ما الأَمْرُ ، يا توم ؟ لا بُدَّ أَنْ أُنادِيَ خالَتي . »

« لا .. لا تُنادِها .. لا يُهِمُّ .. رُبَّما أَتَحَسَّنُ بَعْدَ قَليلٍ . »

« لكِنْ لا بُدَّ أَنْ أُنادِيَها .. وَ لا تَتَأَوَّهْ عَلى هَذا النَّحْوِ ، يا توم .. إِنَّهُ شَيْءٌ مُريعٌ . كَمْ مَضى مِنَ الوَقْتِ وَأَنْتَ عَلى هَذِهِ الحالِ ؟ »

« مَكَثْتُ هكَذا ساعاتٍ وَساعاتٍ يا سِيدْ . إِنَّني أَغْفِرُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ . أَغْفِرُ لَكَ تَحْطِيمَ إِناءِ السُّكَّرِ ، يا سِيدْ ، عِنْدَما أَموتُ ... »

قالَ سِيدْ : « توم ! أَتَموتُ الآنَ ؟ »

« إِنَّني أَعْفو عَنْ كُلِّ إِنْسانٍ ، يا سِيدْ . إِنَّني أَعْفو عَنْ خالَتي

ضَرْبِها إِيّايَ . ظَنَّتْ أَنَّني حَطَّمْتُ إِناءَ السُّكَّرِ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الحَقيقَةَ . شَيْءٌ آخَرُ ، يا سِيدْ . أَرْجو أَنْ تُعْطِيَ الفَتاةَ الجَديدَةَ قِطَّتي وَقُلْ لَها ... »

لكِنَّ سِيدْ تَناوَلَ مَلابِسَهُ وَ خَرَجَ مِنَ الغُرْفَةِ ، وَ هَبَطَ الدَّرَجَ ، وَنادى : « خالَتي ! خالَتي ! توم يُشْرِفُ عَلى المَوْتِ . »

قالَتْ : « المَوْتُ ؟ »

« نَعَمْ ، يا خالَتي . لا تَنْتَظِري ! أَسْرِعي ! »

« هُراءٌ ! لا أُصَدِّقُ ذلِكَ ! » وَلكِنَّها أَسْرَعَتْ تَرْتَقي الدَّرَجَ ، وَتَبِعَها سِيدْ وَماري . وَكانَ وَجْهُها شاحِباً وَشَفَتاها تَرْتَعِشانِ . وَعِنْدَما وَصَلَتْ إلى فِراشِ توم سَأَلَتْهُ : « ما الأَمْرُ ، يا توم ؟ »

« آه ، يا خالَتي بوللي ! »

« ماذا بِكَ ، يا بُنَيَّ ؟ »

« آه ، يا خالَتي . إِنَّ إِصْبَعَ قَدَمي تُؤْلِمُني ، فَقَدْ تَسَمَّمَتْ . »

جَلَسَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ عَلى مَقْعَدٍ ، وَراحَتْ تَضْحَكُ بِصَوْتٍ عالٍ ، ثُمَّ بَكَتْ قَليلاً ، وَ بَعْدَ ذَلِكَ شَعَرَتْ بِتَحَسُّنٍ . وَ وَقَفَتْ وَقالَتْ بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ : « كُفَّ عَنْ هذا الكَلامِ الفارِغِ ، وَ انْهَضْ

فَوْراً مِنْ فِراشِكَ .»

وَ تَوَقَّفَتِ التَّأَوُّهاتُ عَلى الفَوْرِ ، وَ قالَ الصَّبِيُّ : « كانَ الأَلَمُ شَديداً ، يا خالَتي ، لِدَرَجَةِ أَنَّني نَسيتُ سِنّي الَّتي تُؤلِمُني أَيْضاً .»

« سِنُّكَ ! ماذا دهى سِنَّكَ ؟»

« إِحْدى أَسْناني مُتَقَلْقِلَةٌ وَتُسَبِّبُ لي أَلَماً شَديداً .»

« إِيّاكَ أَنْ تُعاوِدَ هَذا التَّأَوُّهَ ، يا وَلَدي . افْتَحْ فَمَكَ وَدَعْني أَرى . نَعَم السِّنُّ بِكُلِّ تَأْكيدٍ غَيْرُ ثابِتَةٍ ، وَلَكِنَّها لَنْ تَقْتُلَكَ . ماري ، أَحْضِري قِطْعَةَ خَيْطٍ مِنَ الحَريرِ وَقِطْعَةَ فَحْمٍ مِنَ النّارِ .»

قالَ : « أَرْجوكِ لا تَخْلَعيها . إِنَّها لا تُؤلِمُني الآنَ ، يا خالَتي . لا أُريدُ أَنْ أَبْقى في البَيْتِ . أُريدُ الذَّهابَ إِلى المَدْرَسَةِ .»

« أَ حَقّاً ما تَقولُ ؟ كُلُّ هذِهِ المَتاعِبِ بِسَبَبِ المَدْرَسَةِ ، أَ لَيْس كَذَلِكَ ؟ أَنْتَ تُريدُ الذَّهابَ إِلى النَّهْرِ لِصَيْدِ السَّمَكِ . ما قَوْلُكَ ؟ آهِ ، يا توم ! يا عَزيزي توم ، إِنَّني أُحِبُّكَ وَ لكِنَّكَ تُريدُ أَنْ تُحَطِّمَ قَلْبي !»

أَتَتْ ماري بالخَيْطِ الحَريريِّ وَ قِطْعَةِ الفَحْمِ المُشْتَعِلَةِ ، فَرَبَطَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ طَرَفَ الخَيْطِ الحَريريِّ بِسِنِّ توم ، ثُمَّ رَبَطَتِ الطَّرَفَ

الآخَرَ بِجانِبِ الفِراشِ .

وَفَجْأَةً دَفَعَتْ بِقِطْعَةِ الفَحْمِ المُشْتَعِلَةِ نَحْوَ وَجْهِ توم ، فَتَراجَعَ إِلى الوَراءِ بِسُرْعَةٍ ، وَ عَلى الأَثَرِ انْخَلَعَتِ السِّنُّ مِنْ مَوْضِعِها .

وَلَقِيَ توم – في طَريقِهِ إِلى المَدْرَسَةِ – عَدَداً مِنَ الأَوْلادِ ، وَأَراهُمُ المَكانَ الخالِيَ في فَمِهِ ، وظَنّوا أَنَّهُ زَميلٌ لَطيفٌ ، ثُمَّ قابَلَ هاكِلْبري فِن . وكانَتْ جَميعُ الأُمَّهاتِ في المَدينَةِ يَكْرَهْنَ هاكِلْبري فِن لِسوءِ طَبْعِهِ وَامْتِناعِهِ عَنْ أَداءِ أَيِّ عَمَلٍ . وَمَنَعَتِ الخالَةُ بوللي توم مِنْ أَنْ يَلْعَبَ مَعَهُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَلْعَبُ مَعَه كُلَّما اسْتَطاعَ ذَلِكَ .

وَكانَتْ مَلابِسُ هاكِلْبِري رَثَّةً دائِماً وَ قَذِرَةً . وَعِنْدَما كانَ النّاسُ يَتَخَلَّصونَ مِنْ مَلابِسِهِم البالِيَةِ ، كانَ هاكِلْبِري يَرْتَديها . وَلَمْ يَذْهَبْ قَطُّ إِلى المَدْرَسَةِ ، وَ كانَ يَنامُ عَلى السَّلالِمِ لأَنَّه لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْزِلٌ يُؤويهِ ، وَ لكِنَّهُ أَحَبَّ هَذا النَّوْعَ مِنَ الحَياةِ . وَكانَ يَتَشاجَرُ حينَما يَحْلو لَهُ ذَلِكَ . وَلَمْ يَذْهَبْ مَرَّةً إِلى فِراشٍ يَنامُ عَلَيْهِ ، وَكانَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَسْهَرَ إِلى ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَلَمْ يَسْتَحِمَّ قَطُّ ، وَمَعَ ذَلِكَ أُعْجِبَ بِهِ كُلُّ أَطْفالِ المِنْطَقَةِ ، وَأَرادوا أَنْ يَكونوا مِثْلَهُ .

ناداهُ توم : « أَهلاً ، يا هاك !»

« أَهلاً !»

سَأَلَهُ توم : « ما هَذا الَّذي مَعَكَ ؟ »

« قِطَّةٌ مَيِّتَةٌ أُريدُ أنْ آخُذَهَا مَعي اللَّيْلَةَ . سَيأتونَ اللَّيْلَةَ مِنْ أجْلِ هورس وِيلْيامز ؛ فَهُمْ يُريدون الاسْتيلاءَ عَلى جُثَّتِهِ . وَسَأذْهَبُ إلى المَدافِنِ لأراقِبَ ما يَجْري هُناكَ . لَقَدْ دَفَنوا الرَّجُلَ العَجوزَ يَومَ السَّبْتِ ، وَ اللُّصوصُ سَيَسْرِقونَ جُثَّتَهُ اللَّيْلَةَ . »

قالَ توم : « دَعْني أذْهَبْ مَعَكَ إلى المدافِنِ ، يا هاك . »

« يُمْكِنُكَ أنْ تَأتِيَ إذا لَمْ تَكُنْ خائِفاً . »

قالَ توم : « بِالطَّبْعِ أنا لَسْتُ بخائِفٍ . »

عِنْدَما وَصَلَ توم إلى المَدْرَسَةِ الصَّغيرةِ أسْرَعَ في سَيْرِهِ . وَانْتَبَهَ النّاظِرُ عِنْدَما سَمِعَ صَوْتَ توم .

ناداهُ السَّيِّدُ دُوبِنْز النّاظِرُ : « توماس سوَيَرْ ! »

رَدَّ توم : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي . »

« تَعالَ إلى هُنا ! لِماذا تَأخَّرْتَ مَرَّةً أخْرى ؟ »

كادَ توم أنْ يَكْذِبَ ، لَكِنَّه رأى شَعْرًا جميلاً أصْفَرَ اللَّوْنِ يَنْسَدِلُ عَلى ظَهْرِ فَتاةٍ ، وَ لاحَظَ أيْضاً وُجودَ مَكانٍ خالٍ بِجوارِها . وَكانَ المَكانَ الوَحيدَ الخالِيَ في الحُجْرَةِ ، فَأجابَ توم عَنْ سُؤالِ النّاظِرِ

بِشَجاعَةٍ : « تَوَقَّفْتُ لأتَحَدَّثَ إلى هاكِلْبِري فِنْ . »

وَ تَمَلَّكَتِ الدَّهْشَةُ السَّيِّدَ دُوبِنْز حتّى كادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ النَّبْضِ ، وَ نَظَرَ إلى توم نَظْرَةً غَريبَةً جِدًّا . وَاعْتَقَدَ الأوْلادُ الآخَرونَ أنَّ توم فَقَدَ إحْساسَهُ .

تَكَلَّمَ السَّيِّدُ دُوبِنْز مَرَّةً أخْرى فَقالَ : « هَلْ سَمِعْتُكَ جَيِّدًا ، يا توماس سوير ؟ أعِدْ ما قُلْتَهُ . »

قالَ توم بِوُضوحٍ تامٍّ : « تَوَقَّفْتُ لأتَحَدَّثَ إلى هاكِلْبِري فِنْ . »

قالَ النّاظِرُ : « اخْلَعْ مِعْطَفَكَ . » وتَناوَلَ عَصاهُ وَ تَحَرَّكَتْ ذِراعُهُ إلى أعْلى ثُمَّ إلى أسْفَلَ وَانْهالَ ضَرْبًا عَلى توم بِقُوَّةٍ . وَ تَحَمَّلَ توم الضَّرْبَ في صَمْتٍ ، وَ لَمْ يَتَأوَّهْ ألْبَتَّةَ . وَعِنْدَما كَلَّتْ ذِراعُ النّاظِرِ قالَ بِقَسْوَةٍ : « وَالآنَ اذْهَبْ وَ اجْلِسْ مَعَ البَناتِ ! »

وَانْفَجَرَتِ الضَّحِكاتُ في الحُجْرَةِ ، وَسارَ توم إلى جانِبِ البَناتِ مُتَظاهِرًا بِالحُزْنِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَزينًا ؛ لأنَّهُ أرادَ أنْ يَجْلِسَ بِالقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الفَتاةِ الجَميلَةِ . وَ عِنْدَما جَلَسَ ، تَحَرَّكَتِ الفَتاةُ مُبْتَعِدَةً ، وَسَمِعَ توم هَمَساتٍ مِنَ الفَتَياتِ الأخْرَياتِ في الفَصْلِ . وَلَكِنَّهُ جَلَسَ وَانْتَظَرَ وَسُرْعانَ ما عادَ الهُدوءُ إلى ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .

وَ اخْتَلَسَ توم النَّظَرَ إلى الفَتاةِ . وَ لاحَظَتْ هِيَ ذَلِكَ ، فَأدارَتْ

رَأسَها بَعيداً لِمُدَّةٍ دَقيقةٍ ، وَلكِنْ عِنْدما أدارَتْ رأسَها مَرَّةً أخْرى كانَتْ تُفّاحَةٌ قَدْ وُضِعَتْ فَوْقَ المَكْتَبِ ، فأزاحَتْها بَعيداً . لكِنَّ توم أعادَها بِرِفْقٍ ، فَأزاحَتْها بَعيداً مَرَّةً أخْرى وَلَكِنْ بِغَضَبٍ أقَلَّ مِنَ المَرَّةِ السّابِقَةِ ، فَوَضَعَ توم التُّفّاحَةَ أمامَها مرَّةً أخْرى فَتَرَكَتْها مكانَها .

وَبَدأ توم يَرْسُمُ مَنْزِلاً ، ولكِنَّ الفَتاةَ أشاحَتْ بِنَظَرِها عَمّا يَرْسُمُهُ . وَرَسَمَ مَجْموعَةً مِنَ المَنازِلِ ، وَحاوَلَتْ هِيَ أنْ تَرى الصّورَةَ وَهَمَسَتْ : « دَعْني أراها .» وَ أراها توم الصّورَةَ ؛ فَقالَتْ : « إنَّها جَميلَةٌ ! ارْسُمْ رَجُلاً .»

وَرَسَمَ توم الفَنّانُ رَجُلاً ضَخْماً في حَديقَةِ المَنْزِلِ ، فَهَمَسَتْ : « إنَّهُ رَجُلٌ جَميلٌ ! وَالآنَ ارْسُمْني .»

وَرَسَمَ فَتاةً بَدينَةً ذاتَ ذِراعَيْنِ نَحيفَتَيْنِ ، فَقالَتْ : « إنَّهُ رَسْمٌ جَميلٌ . إنَّني لا أجيدُ الرَّسْمَ .»

هَمَسَ توم : « سَأعَلِّمُكِ !»

« أحقًّا ؟ متى ؟»

« بَعْدَ انْتِهاءِ الدِّراسة في الفَتْرَةِ الصَّباحِيَّةِ : هَلْ تَعودينَ إلى البَيْتِ لِتَناوُلِ طَعامِ الغَداءِ ؟»

« سَأمْكُثُ إذا مَكَثْتَ أنْتَ .»

« حَسَنٌ ، سَأفْعَلُ . ما اسْمُكِ ؟»

« بِكي ثاتْشَر . وَ ما اسْمُكَ .. آه ، أعْرِفُ . إنَّهُ توماس سويَرْ .»

« هذا اسْمي عِنْدَما يَضْربونَني . نادِني توم . فَأنا توم عِنْدَما أكونُ لَطيفاً .»

وَ بَدَأ توم يَكْتُبُ شَيْئاً ، وَأرادَتْ هِيَ أنْ ترى ما يَكْتُبُ .

قالَ : « إنَّهُ لا شَيْء .»

« أرْجوكَ دَعْني أراهُ .»

« لا ، سَتَقولينَ للآخَرينَ .»

« لَنْ أفْعَلَ ذَلِكَ . في الحَقيقةِ لَنْ أقولَ لأيِّ شَخْصٍ . وَالآنَ دَعْني أرى ما كَتَبْتَ .»

وَ وَضَعَتِ الفَتاةُ يَدَها الصَّغيرَةَ فَوْقَ يَدِهِ وَ حاوَلَتْ أنْ تَرى . وَتَظاهَرَ توم بِمَنْعِها ، وَلَكِنَّهُ أزاحَ يَدَهُ بِبُطْءٍ فرأتِ عِبارَةَ : « أنا أحِبُّكِ .»

وَضَرَبَتْهُ على يَدِهِ قائِلَةً : « يا لَكَ مِنْ وَلَدٍ سَيِّءٍ !»

وَ لكِنِ ارْتَسَمَتْ على وَجْهِها نَظْرَةٌ سَعيدَةٌ .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ شَعَرَ توم بِيَدٍ على أُذُنِهِ ، وَرَفَعَهُ النَّاظِرُ مِنْ أُذُنِهِ وَقادَهُ إلى مكانِهِ عَبْرَ الحُجْرَةِ . وَضَحِكَ الأَوْلادُ وَ البَنْاتُ ، وَلَكِنَّ النَاظِرَ لَمْ يَفُهْ بأَيَّةِ كَلِمَةٍ . وَ كانَتْ أُذُنُ توم تُؤلِمُهُ ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ كانَ فَرِحاً . وَحاوَلَ أَنْ يَسْتَذْكِرَ دَرْسَهِ ، وَلَكِنَّه كانَ صَعْباً .

الفصل الخامس

مشاجرة

لَقِيَ توم بِكِي ثاتْشَر بَعْدَ انْصرافِهِ مِنَ المَدْرَسَةِ وَقالَ لَها : « تَظاهَري بِأَنَّكِ ذاهِبَةٌ إلى مَنْزِلكِ ، وَلَكِن ارْجِعي عِنْدَما تَصِلين إلى ناصِيَةِ الشّارِعِ حَيْثُ سأُقابِلُكِ هُناكَ .»

وَافَقَتْ بِكِي وَانْصَرَفَتْ مَعَ بَعْضِ الفَتَياتِ على حينَ انْطَلَقَ توم مَعَ عَدَدٍ مِنَ الفِتيانِ . وَلَكِنْ سُرْعانَ ما عادَ هُوَ وَبِكِي إلى المَدْرَسَةِ . وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ شَخْصٌ آخَرُ غَيْرُهُما ، وَجَلَسا مَعاً . وأَعْطى توم قَلَمَ الرَّصاص إلى بِكِي وَ وَجَّهَ يَدَها وَهِيَ تَرْسُمُ بَيْتاً ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ الاثْنانِ يَتَكَلَّمانِ .

سَأَلَها توم : « هَلْ وَعَدْتِ أيَّ شَخْصٍ بِالزَّواجِ ، يا بِكِي ؟»

« لا ، مُطْلَقاً .»

« هَلْ تُريدينَ أنْ تَتَزَوَّجي ؟»

قالَتْ : « لا أعْرِفُ . ماذا يَحْدُثُ إذا وَعَدْتُ ؟»

« لا شَيْءَ أكْثَرَ مِنْ أنْ تَعِدي .»

« هَلْ يَفْعَلُ الجَميعُ ذَلِكَ ؟»

« نَعَمْ ، كُلُّ واحِدٍ يُحِبُّ شَخْصاً يَعِدُهُ بِالزَّواجِ . لَقَدْ كَتَبْتُ لَكِ عِبارَةً ، فَهَلْ تَذْكُرينَها ؟ لَقَدْ رَأَيْتِها .»

لَمْ تُجِبْهُ بِكي .

قالَ توم : « هَلْ أَهْمِسُ بِها لَكِ ؟» فَلَمْ تَرْفُضْ بِكي ، فَهَمَسَ توم بِها إلَيْها ثُمَّ قالَ : « وَالآنَ قوليها .»

قالَتْ بِكي : « أدِرْ وَجْهَكَ بَعيداً حتّى لا تَراني .»

وَ أدارَ توم وَجْهَه بَعيداً فَهَمَسَتْ بِبُطْءٍ : « أنا – أحِبُّـ كَ .» ثُمَّ قَفَزَتْ وَجَرَتْ حَوْلَ الحُجْرَةِ ، وَجرى توم وَراءَها وأمْسَكَ بِها ، فَوَعَدَتْهُ بِالزَّواجِ .

قالَ : « والآنَ هذا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ، ولكِنِ الآنَ لا يَجِبُ أنْ تُحِبّي أيَّ شَخْصٍ غَيْري . وَلا بُدَّ أنْ تَسيري مَعي وَنَحْنُ في طَريقِنا إلى المَدْرَسَةِ . وَلا يَجِبُ أنْ تَتَكَلَّمي مُطْلَقاً مَعَ الأوْلادِ الآخَرينَ .»

قالَتْ : « هذا جَميلٌ . لَمْ أسْمَعْ بهذا مِنْ قَبْلُ مُطْلَقاً .»

قالَ : « نَعَمْ ، هَذا جَميلٌ . إنَّ آمي لورانْس وَأنا ...»

وعِنْدَما رأى عَيْنَيْها اتَّسَعَتا فَهِمَ الخَطَأَ الَّذي وَقَعَ فيهِ .

قالَتْ : « توم ! هُناكَ فَتاةٌ أخرى . إنَّني لَسْتُ الفَتاةَ الوَحيدَةَ ...»

وَ بَدَأَتْ تَبْكي .

قالَ توم : « لا تَبْكي ؛ فأنا لا أحِبُّ آمي لورانس الآنَ !»

« أحَقًّا ما تَقولُ ، يا توم ؟» ثُمَّ وَضَعَتْ وَجْهَها قُبالَةَ الحائِطِ ، وَبَكَتْ مَرَّةً أخْرى .

وَ حاوَلَ توم أنْ يَضَعَ ذِراعَهَ حَوْلَها ، وَلَكِنَّها دَفَعَتْه بَعيداً ، فَغادَرَ حُجْرَةَ الفَصْلِ وَ وَقَفَ في الخارجِ وَانْتَظَرَ ، وَكانَ يَنْظُرُ نَحْوَ البابِ أحْياناً ، وَلَكِنَّها لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الحُجْرَةِ .

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ دَخَلَ توم إلى الحُجْرَةِ ، وكانَتْ لا تَزالُ تَبْكي بالقُرْبِ مِنَ الحائِطِ .

ناداها : « بِكي !»

فَلَمْ تُجِبْهُ .

وَكانَ في جَيْبِ مِعْطَفِه أكْرَةُ بابٍ مَعْدِنِيَّةٌ يَعْتَبِرُها كَنْزَهُ الثَّمينَ ،

فَأخْرَجَها مِنْ جَيْبِهِ وَقَدَّمَها إلَيْها ، وَلَكِنَّها أزاحَتْ يَدَهُ فَسَقَطَتْ على الأرْضِ . وَتركَ توم الأكْرَةَ على الأرْضِ وغادَرَ المَبْنى ، وَلَمْ يَعُدْ إلى المَدْرَسَةِ في ذلِكَ اليَوْمِ .

وَرأتْ بِكي الأكْرَةَ مُلْقاةً على الأرْضِ وَ وَقَفَتْ تَنْتَظِرُ ، وَلكِنَّ توم لَمْ يَعُدْ . فَجَرَتْ نَحْوَ البابِ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَرَهُ في أيِّ مَكانٍ . لَقَدْ ذَهَبَ !

وَنادَتْ عَلَيْهِ : « توم ! توم ! عُدْ ، يا توم ! »

لكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ جَوابٌ ، فَعادَتْ تَبْكي مِنْ جَديدٍ . وَسُرْعانَ ما عادَ الأوْلادَ إلى المَدْرَسَةِ ، وَكانَ عَلَيْها أنْ تَهْدَأ . وَكانَتْ فَتْرَةُ بَعْدَ الظُّهْرِ طويلَةً وَحَزينَةً .

الفصل السادس

في المقابِرِ

سارَ توم لِمسافَةٍ طَويلَةٍ في الحُقول ثُمَّ دَخَلَ الغابَةَ ، وَهُناكَ جَلَسَ لِيُفكِّرَ في الحَياةِ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ هادِئًا تَماماً ، لكِنَّهُ شَعَرَ بِحُزْنٍ . فَما الخَطَأُ الّذى اقْتَرَفَهُ ؟ فَالفَتاةُ بِكُلِّ تأكيدٍ قَدْ تَصَرَّفَتْ بِطَريقَةٍ سَيِّئَةٍ نَحْوَهُ . وَ وَدَّ أنْ يَموتَ ، وَلكِنْ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ فَقَطْ . وَتَساءَلَ : « بماذا سَتَشْعُرُ إذا ذَهَبْتُ أنا بَعيداً ؟ وَإلى أيِّ مكانٍ يُمْكِنُ أنْ أذْهَبَ ؟»

فَإلى أيِّ مكانٍ يُمْكِنُ أنْ يَذْهَبَ ؟ يَسْتَطيعُ أنْ يُصبحَ جُنْدِيًّا ، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُهُ أنْ يَذْهَبَ بَعيداً إلى بِلادٍ أخرى . وَيُمْكِنُهُ أَيْضاً أنْ يعودَ بَعْدَ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَبَعْدَ خَوْضِ مَعارِكَ كَثيرةٍ . لا ! ثَمَّةَ فِكْرَةٌ أفْضَلُ مِنْ هَذِهِ . يُمْكِنُه الانْضِمامُ إلى الهُنودِ الحُمْرِ لِصَيْدِ الحَيَواناتِ البَرِّيَّةِ . وَيُمْكِنُهُ أنْ يَرْحَلَ إلى الجِبالِ الشّاهِقَةِ البَعيدَةِ ، وَيُمْكِنُه أنْ

يطلي وَجْهَهُ بالأصباغِ وَيَضَعَ ريشاً على رَأسِهِ ، وَيُمكِنُهُ أنْ يُصبحَ رَئيساً عَظيماً لِلْهُنودِ الحُمْرِ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ يُمكنُهُ أنْ يَعودَ وَيَدْخُلَ المدرَسَةَ في صَباحِ أَحَدِ الأيّامِ ، ويفاجئ المُدَرِّسَ وَالتَّلاميذَ مَعاً . وَلَكِنْ لا ، فَثَمَّةَ ما هو أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ . يُمكِنُهُ الاستيلاءُ على سَفينَةٍ يُهاجِمُ بِها السُّفُنَ الأخرى في البَحْرِ . وكانَ قَدْ سَمِعَ عَن القَراصِنَةِ وَهُوَ نَفْسُهُ يُمكِنُ أنْ يكونَ قُرْصاناً . نَعَمْ ، فَهَذا هُوَ أَفْضَلُ الأشياءِ كُلِّها . وَراحَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « سأكونُ قُرْصاناً مَشْهوراً ، وَعِنْدَما تَعودُ سَفينَتي إلى بَلَدي سَيَرى النّاسُ العَلَمَ الأسْوَدَ وَسَوْفَ يَهْمِسون بِاسْمي . نَعَمْ ، سأكونُ قُرْصاناً وَسَأجوبُ البِحارَ ، وَسأغير على السُّفُنِ وَسَأُصْبِحُ غَنيًّا وَمَشْهوراً .»

وَلَكِنْ في التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مَساءً ذَهَبَ توم إلى فِراشِهِ . لَقَدْ عادَ إلى بَيْتِ خالَتِهِ ، وَكان سيدْ مُسْتَغْرِقاً في النَّوْمِ وَلَكِنَّ توم ظَلَّ يَقِظاً . سَمِعَ السّاعَةَ تَدُقُّ عَشْرَ دَقّاتٍ وَلَكِنَّه انْتَظَرَ . فَكُلُّ شَيْءٍ هادِئٌ مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ سَمِعَ بَعْضَ أَصْواتٍ خافِتَةٍ . سَمِعَ نُباحَ كَلْبٍ مِنْ بَعيدٍ ، ثُمَّ كادَ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ . وَلَكِنْ بَعْدَ الحادِيَةَ عَشْرَةَ مساءً بِقَليلٍ ، سَمِعَ مُواءَ قِطَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَحْلُمُ عِنْدَما سَمِعَ مُواءَ القِطَّةِ ، وكانَ جُزْءاً مِنَ الحُلْمِ . واسْتَيْقَظَ توم عِنْدَما فَتَحَ شَخْصٌ نافِذَتَهُ وَألقى مِنْها زُجاجَةً فارِغَةً .

واسْتَيْقَظَ توم مِنْ نَوْمِهِ تَماماً . وَكانَ مُواءُ القِطَّةِ هُوَ الإشارَةَ الَّتي حدَّدَها لَهُ هاكِلْبِري . وَفي دَقيقَةٍ واحِدَةٍ ارْتَدى توم مَلابِسَهُ وَخَرَجَ مِنَ النّافِذَةِ ، وَسارَ عَلى طولِ السَّطْحِ وَقَلَّدَ مُواءَ القِطَّةِ لِبَعْضِ الوَقْتِ ، ثُمَّ قَفَزَ إلى السَّطْحِ السُّفْلِيِّ ومِنْهُ إلى الأرْضِ .

وَكانَ هاكِلْبِري فِنْ في انْتِظارِهِ ، وَسارَ الاثْنانِ في ظَلامِ اللَّيْلِ . وَبَعْدَ نِصْفِ ساعَةٍ وَصَلا إلى المَقابِرِ ، وَكانَتْ قَديمَةً وَتَقَعُ فَوْقَ تَلٍّ على بُعْدِ كيلومِتْرَيْنِ مِنَ القَرْيَةِ . وَكانَ يُحيطُ بِها سُورٌ قَديمٌ وَيَنْمو العُشْبُ في كُلِّ مَكانٍ عَلى أرْضِها . وَكانَتْ بَعضُ قِطَعِ الخَشَبِ القَديم تُسْتَخْدَمُ كَشَواهِدِ قُبورٍ ، لَكِنَّ أناساً قَليلينَ كانوا يَسْتَطيعونَ قِراءَةَ الأَسْماءِ المَكْتوبَةِ عَلَيْها .

وَهَبَّتْ ريحٌ خَفيفَةٌ فَأَحْدَثَتْ أَصْواتاً خافِتَةً بَيْنَ أَغْصانِ الأشْجارِ . وَشَعَرَ توم بِالخَوْفِ مِنَ الأشْباحِ ، وَلَمْ تَرُقْهُ الرّيحُ ، فقالَ لِهاكِلْبِري : « رُبَّما كانَتِ الأشْباحُ تَحْتَجُّ بِسَبَبِ وُجودِنا هُنا .» وَبَعْدَ قَليلٍ كانَ الاثْنانِ قَدِ اقْتَرَبا مِنْ أَحَدِ القُبورِ ، فوقفا يَنْتَظِرانِ تَحْتَ ثَلاثَةِ أَشْجارٍ ضَخْمَةٍ .

سَأَلَ توم : « هَلِ المَوْتى راضونَ عَنْ وُجودِنا هُنا ؟ تُرى هَلْ يُريدونَنا بِالقُرْبِ مِنْ قُبورِهِم ، يا هاك ؟»

أجابَه هاكِلْبِري : « لا أعْرِفُ ، فأنا لا أحِبُّ كثيراً أنْ أكونَ هُنا ؛ وأنْتَ ؟»

« لا أحِبُّ أنْ أكونَ هُنا . وَلكِنْ هَلْ تَظُنُّ أنَّ هورس ويلْيامز يَسْمَعُنا الآنَ ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري : « بِالطَّبْعِ يَسْتطيعُ أنْ يَسْمَعَنا ، وَمِنَ المؤكَّدِ أنَّ رُوحَهُ تَسْتَطيعُ سَماعَنا .»

تَوَقَّفَ الحِوارُ ، ثُمَّ لَمَسَ توم ذِراعَ هاكِلْبِري ، الَّذي سَألَهُ : « ما الأمْرُ ، يا توم ؟» وَفَجْأةً دَقَّ قَلْباهُما بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ .

« أ لَمْ تَسْمَعْ ذَلِكَ الصَّوْتَ ؟ هَا هُوَ ذا يعودُ يُسمَعُ مَرَّةً أخرى .»

« توم ! إنَّهُمْ قادِمونَ ! الأشْباحُ قادِمَةٌ ! ماذا سَنَفْعَلُ ؟»

رَدَّ توم : « لا أدْري ! هَلْ يَرَوْننا ؟»

بِالطَّبْعِ سَيَرَوْننا ؛ فَالأشْباحُ تَسْتَطيعُ أنْ تَرَى في ظَلامِ اللَّيْلِ كالقِطَطِ .»

هَمَسَ توم : « رُبَّما لا يُلاحِظونَنا إذا لَمْ نَأتِ بِأيَّةِ حَرَكَةٍ .»

وَحَنَى الاثْنانِ رَأسَيْهِما إلى أسْفَلُ ، وَتَمَسَّكا بِالهُدوءِ التّامِّ .

لَكِنَّهما سَمِعا بَعْضَ أصْواتٍ في نِهايَةِ المَقابِرِ .

قالَ توم بِهُدُوءٍ : « انْظُرْ ! ما هذا ؟»

« أشْباحٌ ! إنَّها تَحْمِلُ مَعَها ناراً ! هذا مُرْعِبٌ ، يا توم !»

وتَحَرَّكَتْ بَعْضُ أشْكالٍ غَريبَةٍ نَحْوَ الوَلَدَيْنِ بَيْنَ القُبورِ . وَكانَتْ تَحْمِلُ مِصْباحاً قَديماً ، فَهَمَسَ هاكِلْبِري في أذُنِ توم : « إنَّها أرْواحٌ شِرّيرَةٌ بِكُلِّ تأكيدٍ . ثَلاثَةٌ مِنْها ! لا بُدَّ أنْ نُصلِّيَ ! توم ! هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُصَلِّيَ ؟»

قالَ توم : « سَأحاوِلُ . وَلكِنَّها لَنْ تُؤذِينا .»

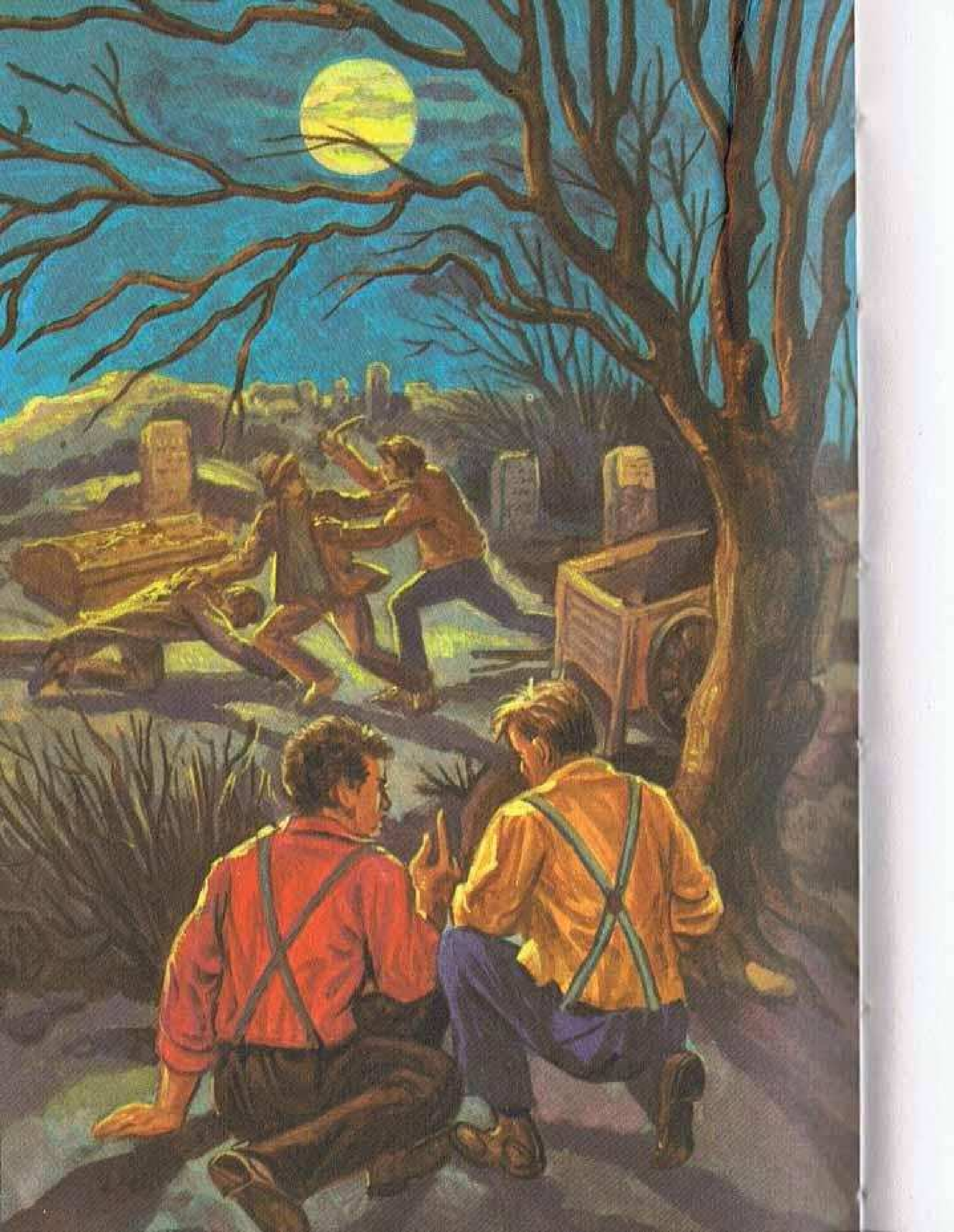
وعندئذٍ قال هاكِلْبِري : « أنْصِتْ ! هَلْ تَسْمَعُ ؟ إنَّهُمْ بَشَرٌ ! وَهذا صَوْتُ مافْ بُوتَرْ ، وَصاحِبُ الصَّوْتِ الآخَرِ هُوَ رِدْ جو .»

« نَعَمْ . إنَّكَ مُصيبٌ ؛ وَهَذا الرَّجُلُ أسْوأُ مِنْ الرّوحِ الشِّرّيرَةِ ؟»

وَ وَصَلَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ إلى القَبْرِ ، وَكانوا على بُعْدِ أمْتارٍ قَليلَةٍ . وَكانَتْ مَعَهُم عَرَبَةٌ صَغيرَةٌ وَبَعْضُ الحِبالِ .

قالَ صاحِبُ الصَّوْتِ الثّالِثِ : « ها هُوَ ذا ! ها هُوَ ذا القَبْرُ !» وَكَشَفَ ضَوْءُ المِصْباحِ عَنْ وَجْهِ الطَّبيبِ الشّابِّ رُوبِنْسون .

وَبَدأ رَجُلانِ يَفْتَحانِ القَبْرَ عَلى حِينَ جَلَسَ الطَّبيبُ بِالقُرْبِ مِنْ



شَجَرةٍ يُراقِبُهما ، ثُمَّ قالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ : أسْرِعا ! اعْمَلا بأقْصَى سُرْعَةٍ !»

وَأخْرَجَ الرَّجُلانِ جُثَّةً ، وَ وَضَعاها على العَرَبَةِ ثُمَّ التَفَتَ بُوتر ناحِيَةَ الطَّبيبِ وَقالَ : « إنَّ الجُثَّةَ جاهِزَةٌ الآنَ ، وَلكِنَّنا نُريدُ خَمْسَةَ دولاراتٍ زِيادَةً ، فإذا لَمْ تَدْفَعْ فَستَبقى الجُثَّةُ هُنا .»

قالَ رِد جو : « هَذا صَحيحٌ !»

أجابَ الطَّبيبُ : « وَلكِنِّي دَفَعْتُ لَكُمْ فِعْلاً !»

قالَ رِدْ جو : « نَعَمْ ، بَلْ أنْتَ فَعلْتَ أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَمُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ دَخَلْتُ مَطْبَخَ أبيكَ ، وَلَمْ أطْلُبْ دولاراتٍ بَلْ طَلَبْتُ طَعاماً ؛ فَطَرَدْتَني أنْتَ . وَبَعْدَ ذلِكَ قَبَضَ عَليَّ أبوكَ ، وَأدْخَلني السِّجْنَ ، وَقالَ إنَّني لِصٌّ . وَبِالطَّبْعِ لَمْ أنْسَ ذَلِكَ ؛ فَدِماءُ الهُنودِ الحُمْرِ تَجْري في عُروقي وَأنا لَمْ أنْسَ .»

وكانَ رِدْ جو وَاقِفاً أمامَ الطَّبيبِ مُباشَرَةً عِنْدَما سَدَّدَ لَهُ الطَّبيبُ لَكْمَةً أسْقَطَتْهُ على الأرْضِ ، فَصاحَ بوتر : « كُفَّ عَنْ ذَلِكَ ! لا تَضْرِبْ صَديقي !»

وَهَجَمَ بُوتر على الطَّبيبِ ، وَدارَ بَيْنَهُما قِتالٌ عَنيفٌ . وَهَبَّ رِدْ جو واقِفاً مَرَّةً أخْرى ، وَالتَقَطَ سِكِّينَ بُوتر مِنْ على الأرْضِ .

راقَبَ رِدْ جو القِتالَ عَنْ كَثَبٍ ، فَشاهَدَ الطَّبيبَ يَلْتَقِطُ لَوْحًا خَشَبِيا مِنْ فَوْقِ قَبْرِ ويليامز ، وَيَضْرِبُ بِهِ بوتر الَّذي هَوى عَلى الأَرْضِ كَقِطْعَةِ حَجَرٍ .

وَرأى رِدْ جو أَنَّ الفُرْصَةَ مُتاحَةٌ لَهُ ، فَانْقَضَّ على الطَّبيبِ ، وَأَغْمَدَ السِّكّينَ في صَدْرِهِ ، وَسَقَطَ الطَّبيبُ جُثَّةً هامِدَةً .

وَكانَ الوَلدانِ يُراقِبانِ المَعْرَكَةَ في ضَوْءِ القَمَرِ . وَلكِنْ سَرْعانَ ما عَبَرَتْ سَحابَةٌ حَجَبَتْ ضَوْءَ القَمَرِ ، وَأَسْرَعَ توم وهاكِلْبِري بِالهَرَبِ .

وَعِنْدَما مَرَّتِ السَّحابَةُ ، نَظَرَ رِدْ جو إلى الجُثَّتَيْنِ ، وَسَرَقَ نُقودَ الطَّبيبِ ، ثُمَّ وَضَعَ السِّكّينَ في يَدِ بُوتَر اليُمنى ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ .

وَمَرَّتْ خَمْسُ دَقائِقَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَ بوتر وَهُوَ يَئِنُّ وَيَتَوَجَّعُ ، وَأَخيراً فَتَحَ عَيْنَيْهِ ؛ فَرَأى السِّكّينَ في يَدِهِ اليُمْنى ، فَأَلقى بِها ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا .

تَساءَلَ بُوتر بِصَوْتٍ خافِتٍ : « ماذا حَدَثَ ، يا جو ؟»

رَدَّ رِدْ جو : « إِنَّه شَيْءٌ فَظيعٌ ، يا بُوتَر !»

سَأَلَهُ بُوتَر : « وَلِماذا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟»

صاح رِدْ جو : « أنا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا .»

وارْتَعَشَ بُوتَر ، وامْتَقَعَ وَجْهُهُ ، وَنَظَرَ إلى جُثَّةِ الطَّبيبِ مَذْعوراً ، ثُمَّ قال : « لا أَتَذَكَّرُ شَيْئًا عن مَقْتَلِ الطَّبيبِ . لَقَدْ كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ دولاراتٍ زِيادَةً ، وَكُنَّا قَدْ أَخْرَجْنا جُثَّةَ ويليامز مِنَ النَّعْشِ ، ثُمَّ دارَ قِتالٌ . وَلكِنْ كَيْفَ حَدَثَ هذا ؟ هَلْ فَعَلْتُ أنا ذَلِكَ ؟ إِنَّهُ شَيْءٌ فَظيعٌ ! لَقَدْ كانَ شابًّا صَغيراً ! آهٍ ، يا جو !»

قالَ جو : « كُنْتُما تَتَقاتَلانِ ، وَضَرَبَكَ الطَّبيبُ بِلَوْحٍ فَسَقَطْتَ عَلى الأَرْضِ ، ثُمَّ قَفَزْتَ مِنْ سَقْطَتِكَ وَبِيدِكَ السِّكّينُ فَطَعَنْتَهُ بِها ، وَفي الوقْتِ نَفْسِهِ ضَرَبَكَ هُوَ بِاللَّوْحِ الخَشَبِيِّ مَرَّةً أخْرى ، وَسَقَطْتَ وَظَلِلْتَ هُناكَ كَرَجُلٍ مَيِّتٍ .»

قالَ بُوتَر بِحُزْنٍ : « لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ قَتَلْتُ أَحَدًا . لا تَقُلْ شَيْئًا لأَيِّ إِنْسانٍ ، يا جو . قُلْ إِنَّكَ لَنْ تَقولَ شَيْئًا . أَنْتَ تَعْلَمُ مِقْدارَ حُبّي لَكَ . لا تَقُلْ شَيْئًا لأَحَدٍ أَرْجوكَ .»

وَجَثا المِسْكينُ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ في اتِّجاهِ وَجْهِ جو الَّذي أَجابَهُ : « لَقَدْ كُنْتَ دائِماً أَميناً مَعي ، يا مافْ بُوتَر . لَنْ أَقولَ شَيْئًا لأَيِّ إِنْسانٍ .»

رَدَّ عَلَيْهِ بُوتَر : « شُكْرًا ، يا جو ، شُكْرًا !» ثُمَّ أَخَذَ يَبْكي .

قالَ جو بِخُشونَةٍ : « كُفَّ عَنِ البُكاءِ ، وَاذْهَبِ الآنَ . اهْرُبْ مِنْ هُنا . سِرْ في هَذا الطَّريقِ ، وَأنا سَأسِيرُ في الطَّريقِ المُقابِلِ .»

وَأسْرَعَ بُوتَر بِالفِرارِ تارِكاً السِّكِّينَ عَلى الأعْشابِ .

الفصل السابع

توم قلبه يتحطم

جَرى الوَلَدان إلى القَرْيَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَكانا خائِفَيْنِ مِنْ كُلِّ ظِلٍّ وَقَعَ نَظَرُهُما عَلَيْهِ ، وَلَكنَّهُما وَصَلا سالِمَيْنِ إلى مَبْنًى قَديمٍ في القَرْيَةِ ، وَكانا مُرْهَقَيْنِ لِلْغايَةِ ، وَأخَذا يَلْتَقِطانِ أنْفاسَهُما بِصُعوبَةٍ . وَجَلَسا على الأرْضِ ، وَظَلّا صامِتَيْنِ لِوَقْتٍ طَويلٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ توم مُتَسائِلاً : « ما الَّذي سَيَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ ، يا هاك ؟»

« إذا ماتَ الدكتور روبنسون فَسَيُشْنَقُ شَخْصٌ ما . إنَّني أعْرِفُ ذَلِكَ .»

سَألَ توم : « مَنِ الَّذي سَيَتَكَلَّمُ ؟ هَلْ نَحْكي نَحْنُ عمّا حَدَثَ ؟»

« إذا قُلْنا فَسَوْفَ يَقْتُلُنا رِدْ جو أيْضاً ؟»

« لَنْ يَقْتُلنا إذا شُنِقَ .»

قالَ هاكِلبِري : « رُبَّما يَهْرُبُ . دَعْ ماف بُوتَر يُبلِّغُ عَن الجَريمَةِ ؛ فَلَنْ نَقولَ نَحْنُ شَيْئًا .»

« هذا صَحيحٌ ، لَنْ نَقولَ شَيْئًا . وَلا بُدَّ أَنْ يَعِدَ كُلٌّ مِنّا الآخَرَ .»

قالَ هاكِلبِري : « يُمكِنُ أَنْ يَعِدَ كُلٌّ مِنّا الآخَرَ ، وَلَكِنْ ، هذا لَيْسَ كافِيًا . لا بُدَّ أَنْ نَكْتُبَ الوَعْدَ وَنُوَقِّعَه بِالدَّمِ .»

وافَقَ توم ، وَكَتَبَ العِباراتِ التّالِيَةَ عَلى قِطْعَةٍ مِنَ الخَشَبِ :

سيلتزم هاكلبري فن وتوم سوير بالصمت حول هذا الأمر . ويتمنيان أن يموت من يقول منهما شيئا .

وَوَقَّعَ كُلٌّ مِنْهُما بِدَمِ إِبْهامِهِ ، ثُمَّ قاما بِدَفْنِ قِطْعَةِ الخَشَبِ بِالقُرْبِ مِنْ جِدارٍ ، وأَنْشَدا بَعْضَ الأَناشيدِ الحَزينَةِ فَوْقَ الخَشَبَةِ . وَلَمْ يَفْطِنا إِلى شَخْصٍ كانَ واقِفًا في الظَّلامِ في النِّهايَةِ الأُخْرى لِلْمَبْنى .

وَسَمِعَ الاثْنانِ نُباحًا كَئيبًا ، فاعْتَبَراه شُؤمًا ، وَقالَ توم : « إِنَّ شَخْصًا ما في خَطَرٍ !» ثُمَّ سَمِعا صَوْتًا آخَرَ .

قالَ هاكِلبِري : « إِنَّ هُناكَ شَخْصًا نائِمًا .» وَسارا في اتِّجاه

الصَّوْتِ ، فَشاهَدا رَجُلاً على الأَرْضِ ، وَعِنْدَما نَظَرا إِلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ رَأَيا وَجْهَ ماف بوتر ، وَ قَدْ وَقَفَ كَلْبٌ بِالقُرْبِ مِنْه ، وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّماءِ ، وَراحَ يَعوي عُواءً حَزينًا .

قالَ الاثْنانِ مَعًا : « إِنَّ بُوتَر في خَطَرٍ ، وَسَوْفَ يَموتُ بَعْدَ قَليل .»

وَبَعْدَ ذَلِكَ افْتَرَقَ الوَلَدانِ ، وَعادَ توم إِلى بَيْته عَنْ طَريقِ النّافِذَةِ . وَكانَ سِيدْ مُسْتَيْقِظًا ، وَلَكِنَّ توم لَمْ يَفْطِنْ إِلى ذَلِكَ .

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ توم في الصَّباحِ ، كانَ سِيدْ قَدْ غادَرَ المَنْزِلَ . وارْتَدى توم مَلابِسَهُ عَلى عَجَلٍ ، وَنَزَلَ إِلى الدَّوْرِ السُّفْلِيِّ ، وَكانَتِ العائِلَةُ لا تَزالُ حَوْلَ مائِدَةِ الطَّعام ، وَلَكِنَّ أَفْرادَها كانُوا قَدِ انْتَهَوْا مِنْ فُطورِهِمْ . وَلَمْ يُوجِّهْ أَيٌّ واحِدٍ كَلِمَةً أو لَوْمًا لِتوم ، وَلَمْ يَقُلْ أَيٌّ مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ عُيونَهُم كانَتْ بَعيدَةً عَنْهُ . وَسادَ هُناكَ صَمْتٌ رَهيبٌ .

وَبَعْدَ الفُطورِ تَكَلَّمَتِ الخالَةُ بوللي بِحُزْنٍ مُوَجِّهَةً حَديثَها إِلى توم : « ما الَّذي أَفْعَلُهُ مَعَكَ ؟»

وَرَجاها توم أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ ، وَ وَعَدَ بِأَنْ يُحَسِّنَ مِنْ تَصَرُّفاتِهِ . وَكانَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ إِلى المَدْرَسَةِ . وَضَرَبَهُ السَّيِّدُ دوبنز لأَنَّهُ تَغَيَّبَ في اليَوْمِ السّابِقِ . وَجَلَسَ توم حَزينًا ، وَنَظَرَ إِلى الحائِطِ .

كانَتْ خالَتُهُ غاضِبَةً مِنْهُ ، وَكانَ السَّيِّدُ دوبنز غاضِباً مِنْهُ أَيْضاً ، وَهُوَ نَفْسُه خائِفٌ مِنْ رِدْ جو . كانَ كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ لا يَبْعَثُ على الرِّضا .

وَلاحَظَ توم شَيْئاً في الوَرَقَةِ المَوْضوعَةِ عَلى مَكْتَبِهِ ؛ فَإذا بِها الأَكْرَةُ المَعْدِنِيَّةُ ! إذاً فالفَتاةُ بِكي قَدْ أَعادَتْها إِلَيْهِ . وَكانَ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِمّا يَحْتَمِلُ ؛ بَلْ كانَتِ النِّهايَةَ . لَقَدْ تَحَطَّمَ قَلْبُ توم !

الفصل الثامن

توم يتكلم وهو نائم

في اليَوْمِ التّالي كانَ الجَميعُ يَتَكَلَّمونَ عَنِ الطَّبيبِ الَّذي قُتِلَ ، وعَنِ السِّكّينِ التي عُثِرَ عليْها مُلْقاةً فَوْقَ العُشْبِ بِالقُرْبِ مِنْ جُثَّةِ الطَّبيبِ ، وَعَنْ أنَّها سِكّينُ ماف بُوتَر ، وَعَلى ذَلِكَ أصبَحَ في وَرْطَةٍ. وحَدَثَ شَيْءٌ آخَرُ أيْضاً ؛ فَقَدْ رَأى شَخْصٌ ماف بُوتَر يَغْتَسِلُ في غَديرٍ . وَكانَ هذا شَيْئاً غَريباً ، لأنَّ بوتر قَلَّما كانَ يَغْتَسِلُ ، فَلِماذا اغْتَسَلَ في هَذا الصَّباحِ بِالذّاتِ؟ هَلْ كانَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ مِنَ الدِّماءِ ؟ بَلْ لَمْ يَعْثُرْ أحَدٌ على بُوتَر ، فَأَيْنَ ذَهَبَ ؟

وَذَهَبَ أهْلُ القَرْيَةِ إلى المَقابِرِ ، فَقَدْ أرادوا أنْ يَرَوْا المَكانَ المُرْعِبَ ، وَقالَ أحَدُهُمْ : « سَوْفَ يُشْنَقُ ماف بُوتَر بِسَبَبِ فَعْلَتِهِ .» وَنَظَرَ توم إلى رِدْ جو الَّذي كانَ صامِتاً . وَعَلا صَوْتٌ : « ها هُوَ ذا

بوتر ! بوتر قادِمٌ !»

وَأفْسَحَ الجمْعُ المُحْتَشِدُ الطَّريقَ لِلْمأمورِ الَّذي كانَ يَقْتادُ بُوتر وَسْطَ النّاس . وَكانَتْ عَيْنا بُوتر حَزينَتَيْنِ ، ويَمْلأُهُما الرُّعْبُ . وَعِنْدَما وَقَفَ بِجِوارِ جُثَّةِ الطَّبيبِ سَرَتْ في جِسْمِهِ رَعْشَةٌ .

قالَ بُوتَر : « أنا لَمْ أرْتَكِبْ هَذِهِ الجَريمَةَ أيُّها الأصْدِقاءُ ! لَمْ أرْتَكِبْها !»

سَألَ أحَدُهُم : « مَنِ الَّذي اتَّهَمَكَ ؟ هَلِ اتَّهَمَكَ أحَدٌ ؟» وَنَظَرَ بُوتَر إلى مَصْدَرِ الصَّوْتِ فَرَأى رِدْ جو ، فَصَرَخَ قائلاً : « ألَمْ تَعِدْني ، يا جو ، بِألا تُخْبِرَ أحَداً بِشَيْءٍ ؟»

سَألَه المَأمُورُ : « هَلْ هَذِهِ سِكّينُكَ ؟» وأمْسَكَ العُمْدَةُ بالسِّكّين وَقَرَّبَها مِنْ وَجْهِ بُوتَر .

رَأى بُوتَر أنْ لا أمَلَ لَهُ فَقالَ : « قُلْ لَهُمْ ، يا جو ؟»

وَقالَ جو كِذْبَتَهُ الشَّنْعاءَ ، وَسَمِعَها كُلٌّ مِنْ توم وهاكلبري ، وَدَهِشا وَلَكِنَّهُما لَمْ يقولا شَيْئاً . وَصَدَّقَ كُلُّ إنْسانٍ جو ، وَذَهَبَ بُوتَر إلى السِّجْنِ ، وكانَ عَلَيْهِ أنْ يَبْقى فيه يَوْماً آخَرَ . وَساعَدَ رِدْ جو في نَقْلِ جُثَّةِ الطَّبيبِ .

وَذاتَ صَباحٍ ، أثْناءَ تَناوُلِ الفُطُورِ ، فاجَأ سِيدْ أخاه توم بِقَوْلِهِ :

« توم ! توم ! إنَّكَ تَتَقَلَّبُ كَثيراً في فِراشِكَ ، وَتَتَكَلَّمُ وَأنْتَ نائِمٌ ، لِذَلِكَ لا أسْتَطيعُ أنْ أنامَ . أرْجوكَ أنْ تَكونَ هادِئاً في اللَّيْلِ .»

ارْتَعَشَ توم وَخَفَضَ عَيْنَيْهِ .

وَقالَتِ الخالَةُ بوللي : « هذه عَلامَةٌ سَيِّئَةٌ . ما الَّذي يُقْلِقُكَ ، يا توم ؟»

أجابَها توم : « لا شَيْءَ . لا أعْرِفُ أيَّ شَيْءٍ .» لكِنَّ يَدَهُ كانَتْ تَرْتَعِشُ حَتّى إنَّه لَمْ يَسْتَطِعِ الإمْساكَ بِفِنْجانِه جَيِّداً .

وَمَضى سِيدْ في حَديثِهِ قائلاً : « إنَّكَ تَقولُ أشْياءَ مُرْعِبَةً ؛ فَلَيْلَةَ أمْسِ كُنْتَ تَتَكَلَّمُ عَنِ الدِّماءِ . قُلْتَ : « دَمْ » وَكَرَّرْتَها كَثيراً . وَقُلْتَ إنَّكَ تُريدُ أنْ تَقول ... تَقولُ ماذا ، يا توم ؟»

وَلَمْ يُجِبْهُ توم ، لأنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ ، وظَلَّ صامِتاً وَمِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أنْ أنْقَذَتْهُ الخالَةُ بوللي بِقَوْلِها : « آه ، إنَّكَ تَحْلُمُ بِخُصوصِ جَريمَةِ القَتْلِ الَّتي حَدَثَتْ في المَقابِرِ . لَقَدْ كانَتْ جَريمَةً بَشِعَةً . أنا أحْلُمُ بِها أيْضاً ، وَتَقولُ ماري الشَّيْءَ نَفْسَهُ .»

وَتَمَلَّصَ توم مِنْ هذا المَوْقِفِ عِنْدَما سَنَحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ بِذَلِكَ . وَقَرَّرَ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً حِيالَ الأمْرِ ، فَتَظاهَرَ بِأنَّ سِنَّةً مِنْ أسْنانِهِ تُؤلِمُهُ . وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يَلُفَّ وَجْهَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ القُماش ، وَبِذَلِكَ لَنْ يَتَكَلَّمَ

بُوضوحٍ وَهُوَ نائِمٌ . وَلكِنَّ سِيدْ أزاحَ القُماشَ عَنْ وَجْهِهِ في أثْناءِ اللّيْلِ ، وأنْصتَ إلى ما قالَهُ توم ، وَأعادَ قِطْعَةَ القُماش إلى مَكانِها .

وَنَسِيَ توم بالتَّدريجِ مَتاعِبَهُ ، وَقَلَّ كَلامُهُ وَهُوَ نائِمٌ . وَفي بَعْضِ الأحيانِ كانَ يَذْهَبُ إلى السِّجْنِ لِزيارَةِ بُوتَر وَتَزْويدِهِ بِما يَحْتاجُهُ . وَكانَ يَشْعُرُ بِالأسى نَحْوَهُ ، وَكَذَلِكَ كانَ هاكِلْبِري .

الفصل التاسع

مُسكِّنُ الألم

عِنْدَما تَوَقَّفَتْ بِكي ثاتشر فَجْأةً عَنِ الذَّهابِ إلى المَدْرَسَةِ ، حَزِنَ توم حُزْناً شَديداً ، ونَسِيَ جَريمَةَ مَقْتَلِ الطَّبيبِ . وَأخَذَ يُفكِّرُ : « أيْنَ بِكي ؟ هَلْ هِيَ مَريضَةٌ ؟ لَعَلَّها مُشْرِفَةٌ عَلى المَوْتِ . وَلَمْ تَعُدْ حَياةُ توم سَعيدَةً كَما كانَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَظَنَّتْ خالَتُهُ أنَّهُ مَريضٌ : فَوَجْهُهُ بِكُلِّ تأكيدٍ لا يُعَبِّرُ عَنْ سعادَتِهِ ، فَبَدأتْ تُعطيهِ دواءً .

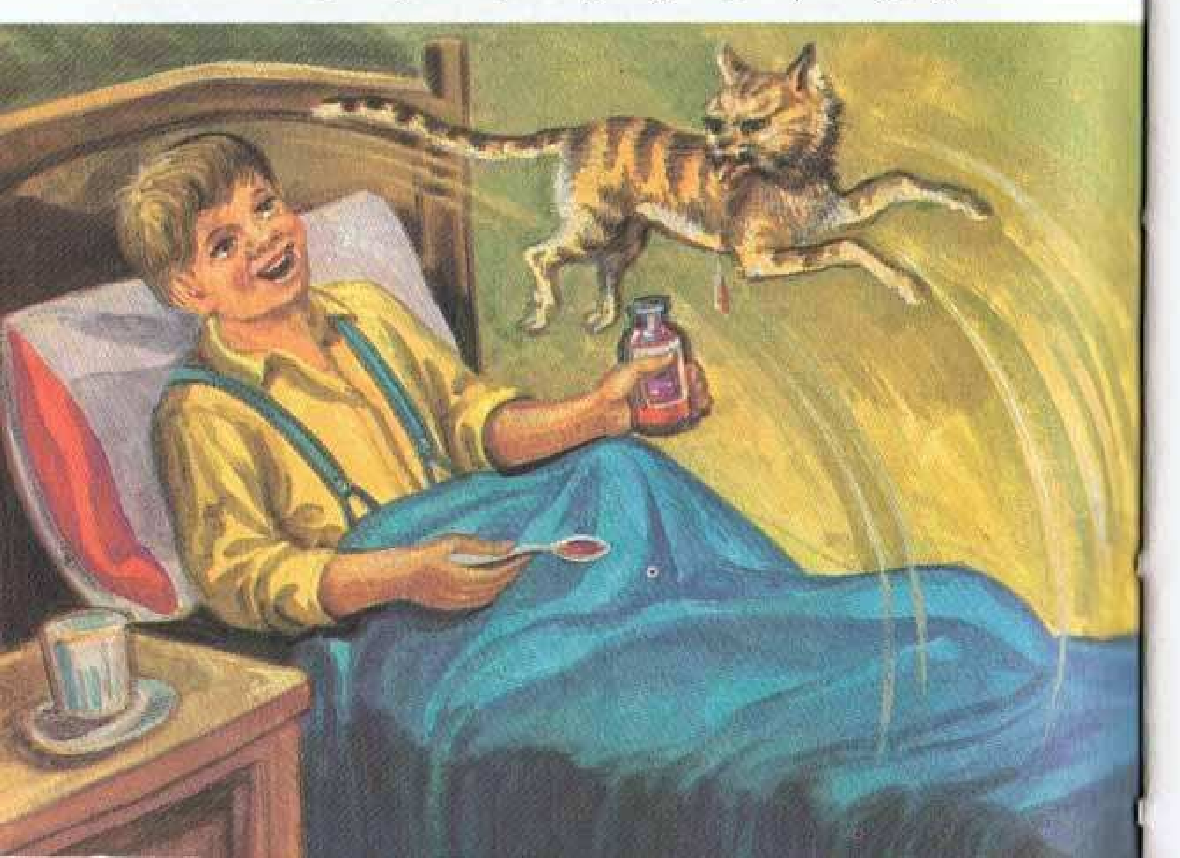
وَكانَتِ الخالَةُ بوللي تُحِبُّ كُلَّ أنْواعِ الأدْوِيَةِ ؛ فأيُّ دَواءٍ جَديدٍ يَظْهَرُ في المَحلاتِ يَبْعَثُ في نَفْسِها السُّرورَ . وَكانَتْ تُحِبُّ القِراءَةَ عَنِ الصِّحَّةِ ، وَكانَ لَدَيْها الكَثيرُ مِنَ الكُتُبِ وَالأوْراقِ الَّتي تَتَناوَلُ مَشاكِلَ الصِّحَّةِ . وَكانَتْ تَعي الكَثيرَ عَنِ الطَّعامِ وَالنَّوْمِ ، وَتَعْرِفُ أجْوَدَ أنْواعِ المَلابِسِ ، لأنَّها قَرأتِ الكُتُبَ المُتَخَصِّصَةَ في الثِّيابِ . وكانَتْ تُصدِّقُ أيْضاً كُلَّ شَيْءٍ لأنَّها كانَتِ امْرَأةً بَسيطَةً .

وَكانتْ أحْدَثَ فِكْرةٍ تحدَّثتْ عَنْها الجرائدُ استِخْدامُ الماءِ البارِدِ . ولَمّا كانَ توم مَريضاً ، لِذَلِكَ كانَتْ تَصُبُّ الماءَ البارِدَ فَوْقَهُ كُلَّ صَباحٍ . وكانَتْ تَجعلُهُ يَقِفُ في الخارِجِ ثُمَّ تُلْقي بِالماءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَلُفُّهُ في مُلاءَةٍ مُبْتَلَّةٍ وَتضَعُهُ في الفِراشِ . لكِنَّ كُلَّ هَذا لَمْ يُحَسِّنْ مِنْ حالِ توم ، وَكانَ حُزْنُهُ يَتزايَدُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ . وَاشْتَدَّ شُحوبُ وَجْهِهِ ، فَجَرَّبَتْ مَعَهُ الحَمّاماتِ السّاخِنَةَ ، وَلكِنْ دُونَ جَدْوى ، وَجرَّبَتْ كَذَلِكَ أنْواعاً مُخْتَلِفَةً مِنَ الأدْوِيَةِ ، وَلكِنَّها أيْضاً لَمْ تُفِدْهُ بَلْ لَمْ يُقْبِلْ عَلَيْها توم ، وَفَقَدَ اهْتِمامَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

وَسَمِعَتِ الخالَةُ بوللي عَنْ دَواءٍ جَديدٍ ، وَكانَ اسْمُهُ « مُسكِّنَ الألمِ » ؛ فَاشْتَرَتْ كَمِّيَّةً مِنْهُ وَجَرَّبَتْهُ عَلى توم . وَكانَ مَذاقُ الدَّواءِ حَرِّيفاً يُلْهِبُ الفَمَ كَما لَوْ كانَ ناراً . وَفَرِحَتِ الخالَةُ بوللي بِهِ ، وأعْطَتْ توم بَعْضاً مِنْهُ وَراقَبَتِ النَّتيجَةَ . وَمِمّا لا شَكَّ فيهِ أنَّ الدَّواءَ أثارَ اهْتِمامَ توم ، فَقَدْ ألْهَبَ فَمَهُ وجَعَلَهُ يَقْفِزُ عالِياً في الهَواءِ . وَألْزَمَتْهُ الخالَةُ بوللي بِأنْ يَشْرَبَ مِنْهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ .

وَقرَّرَ توم أنْ يُحْدِثَ تَغْييراً ، فَلَمْ يَكُنْ راضِياً بِهَذا النَّوْعِ مِنَ الحَياةِ . وَكَرِهَ الدَّواءَ أكْثَرَ مِنْ أيِّ شَيْءٍ آخَرَ ، وَلكِنَّهُ تَظاهَرَ بِأنَّهُ يُحِبُّهُ ، فَكانَ يَسْألُ عَنْ « مُسكِّنِ الألمِ » عِدَّةَ مَرّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ . وَسُرْعانَ ما ضَجَّتْ خالَتُهُ مِنْ طَلَباتِهِ المُتَكَرِّرَةِ ، فَأخْبَرَتْهُ بِأنْ يَأخُذَ الدَّواءَ بِنَفْسِهِ . وَلكِنَّها راقَبَتْ زُجاجَةَ الدَّواءِ سِرًّا ، وَرَأتْ أنَّ الدَّواءَ يَنْقُصُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ . وَلَمْ تَعْرِفِ الحَقيقَةَ ، فَقَدْ كانَ توم يَسْكُبُهُ خِلْسَةً في بالوعَةٍ بِالأرْضِ .

وَذاتَ يَوْمٍ عِنْدَما كانَ توم يَفْعَلُ ذَلِكَ ، ظَهَرَتْ قِطَّةُ خالَتِهِ وَنَظَرَتْ إلى الدَّواءِ بِشَراهَةٍ وَقَدَّمَ لَها توم بَعْضاً مِنْهُ ، وَفَتَحَ فَمَها ثُمَّ صَبَّ فيهِ بِمِلْعَقَةٍ بَعْضَ دَواءِ « مُسَكِّنِ الألَمِ » . وَقَفَزَتِ القِطَّةُ مِتْرَيْنِ في الهَواءِ ، وَصَرَخَتْ مَذْعورَةً ، وانْدَفَعَتْ تَدورُ بِسُرْعَةٍ حَوْلَ الحُجْرَةِ ، وَكانَ مُواؤها غَريباً . وَراحَتْ تَرْقُصُ عَلى قَدَمَيْها الخَلْفِيَّتَيْنِ ، ثُمَّ جَرَتْ في كُلِّ أنْحاءِ البَيْتِ ، وَحَطَّمَتْ أشْياءَ



كَثيرَةً .

وَجاءَتِ الخالَةُ بوللي عِنْدَ سَماعِها لِتِلْكَ الأصْواتِ . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَفَزَتِ القِطَّةُ مِنَ النّافِذَةِ المَفْتوحَةِ ، وانْطَلَقَتْ بَعيداً . رأتِ الخالَةُ ما حَدَثَ ، فَتَمَلَّكَتْها دَهْشَةٌ شَديدَةٌ ، فَنَظَرَتْ إلى توم ، وكانَ مُسْتَلْقِياً في الفِراشِ وَغارِقاً في الضَّحِكِ .

قالَتْ : « توم ، ماذا حَدَثَ لِلْقِطَّةِ ؟»

أجابَ وَهُوَ يَضْحَكُ : « لا أعْرِفُ ، يا خالَتي !»

« ما الَّذي جَعَلَها تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟»

« لا أعْرِفُ ، يا خالَتي ؛ فالقِطَطُ تَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَما تَكونُ سَعيدَةً ؟»

قالَتْ : « أ حَقًّا تَفْعَلُ القِطَطُ ذَلِكَ ؟» وانْحَنَتِ الخالَةُ لِتَنْظُرَ تَحْتَ الفِراشِ ، ثُمَّ تَناوَلَتِ المِلْعَقَةَ الَّتي اسْتَخْدَمَها توم . وكفَّ توم عَنِ الضَّحِكِ ؛ فَسألَتْهُ : « ما الَّذي فَعَلْتَهُ بِهَذِهِ القِطَّةِ المِسْكينَةِ ؟ لَقَدْ أعْطَيْتَها بَعْضَ الدَّواءِ . لِماذا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟»

« لأنَّني أشْعُرُ بِالأسَفِ أنَّهُ لا خالَةَ لَها ، وَلا أحَدَ يُعْطيها دَواءً ، وَلا أحَدَ يُلْهِبُ مَعِدَتَها . يا لَلْقِطَّةِ المِسْكينَةِ !»

وَأحَسَّتِ الخالَةُ بوللي بِالأسَفِ لَحْظَةً ، فَالدَّواءُ أضَرَّ بِالقِطَّةِ وَرُبَّما أضَرَّ بِتوم أيْضاً ؛ فَوَضَعَتْ يَدَها بِرِفْقٍ عَلى رَأسِهِ قائِلَةً : « إنَّهُ مُفيدٌ لَكَ ، يا توم ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَحْتاجَ لِدَواءٍ بَعْدَ ذَلِكَ .»

وَعِنْدَما وَصَلَ توم إلى المَدْرَسَةِ انْتَظَرَ بِالقُرْبِ مِنَ البَوّابَةِ ، وَبَعْدَ قَليلٍ رأى جيف ثاتْشَر قادِماً عَلى الطَّريقِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ أخْتُهُ . وَأسِفَ توم لِذَلِكَ كَثيراً ، وَأخَذَ يَرْقُبُ كُلَّ الفَتَياتِ القادِماتِ إلى المَدْرَسَةِ ، وَلَكِنَّ بِكي لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُنَّ ، فَفَقَدَ كُلَّ أمَلٍ في رُؤْيَتِها ، وَفَجْأةً وَصَلَتْ بِكي .

بَدَأ توم يَلْعَبُ بِالقُرْبِ مِنْها ، وَ وَقَفَ وَتَكَلَّمَ بِالقُرْبِ مِنْها أيْضاً وَقَفَزَ وَجَرى حَوْلَها وَقَريباً مِنْها وَلَكِنَّها لَمْ تأبَهْ بِهِ ، فَألْقى بِقُبَّعَةِ أحَدِ الأولادِ عَلى السَّطْحِ ، وَلَكِنَّها حَوَّلَتْ عَيْنَيْها عَنْهُ . وابْتَعَدَ عَنْها ثُمَّ عادَ وَهُوَ يَعْدو في اتِّجاهِها ، ثُمَّ سَقَطَ عَلى الأرْضِ بِالقُرْبِ مِنْ قَدَمَيْها ، فَاسْتَدارَتْ مُبْتَعِدَةً شامِخَةً بِأنْفِها في الهَواءِ .

وَانْصَرَفَ توم بِهُدوءٍ .

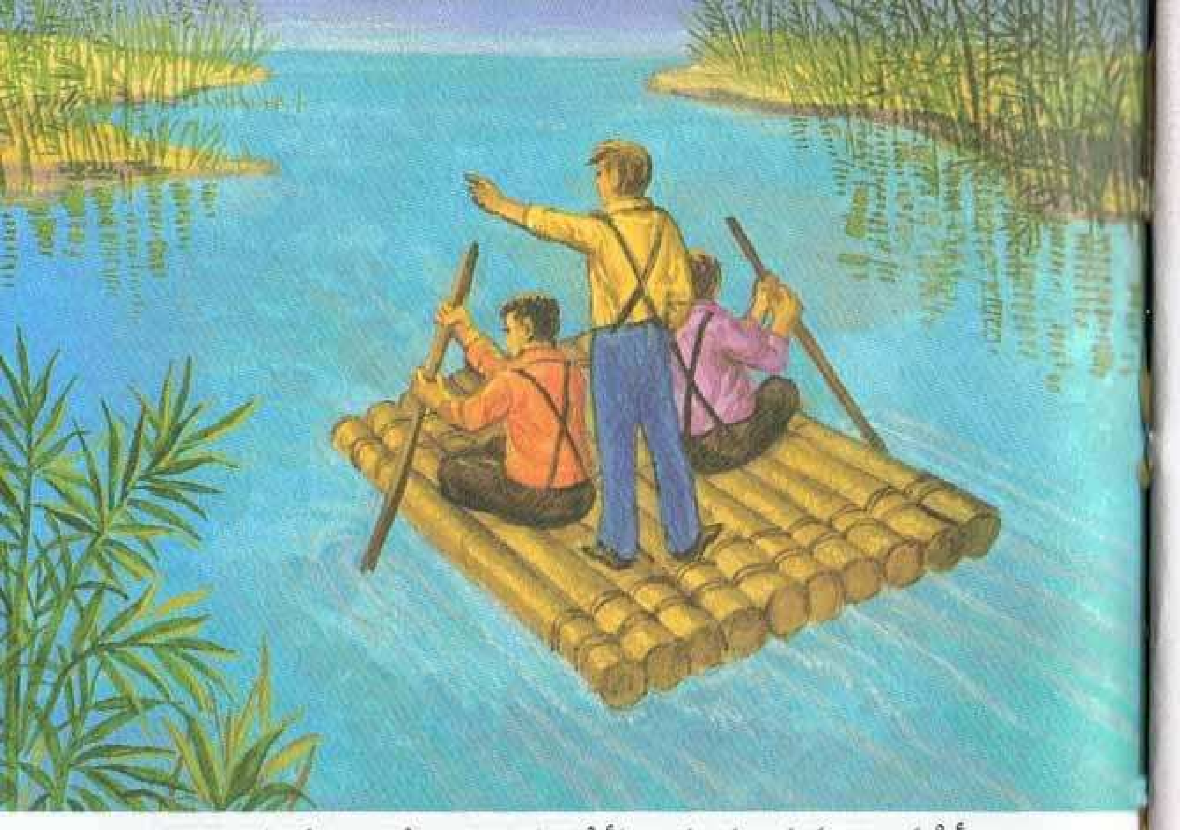
الفصل العاشر

القراصنة

كانَ توم حَزيناً ، لأنَّهُ لَمْ يَحُزْ إعْجابَ بِكي ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أصْدِقاءُ ، فَضْلاً عَنْ شُعورِهِ بِالغَضَبِ . وَحاوَلَ أنْ يكونَ حَسَنَ السُّلوكِ لكِنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ أحَدٌ فَقَرَّرَ أنْ يَعيشَ حَياةً شِرِّيرَةً . وَخَرَجَ إلى الحُقولِ وَسارَ فيها . وَسَمِعَ جَرَسَ المَدْرَسَةِ يُدَقُّ مِنْ بَعيدٍ ، فَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَنْ أسْمَعَ هَذا الصَّوْتَ مَرَّةً أخْرى ! »

وَبَكى قَليلاً ، وفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَقِيَ صَديقَهُ جو هاربر ، الَّذي أخْبَرَهُ أنَّ أمَّهُ ضَرَبَتْهُ عِقاباً لَهُ عَلى قِيامِهِ بالسَّرِقَةِ ، رَغْمَ أنَّهُ لَمْ يَسْرِقْ شَيْئاً ، وَمِنَ الجائِزِ أنَّها ضَرَبَتْهُ لِسَبَبٍ آخَرَ . وَهِيَ لَمْ تَعُدْ تُحِبُّهُ ، وَكانَ ذَلِكَ واضِحاً ؛ لأنَّها طَرَدَتْهُ مِنَ البَيْتِ ، ولكِنَّهُ لَيْسَ غاضِباً مِنْها ، وَقالَ لِتوم إنَّهُ يَتَمَنَّى لَها السَّعادَةَ .

وَاتَّفَقَ الوَلَدانِ عَلى أنْ يَعْمَلا مَعاً ، وَحَدَّدا خُطَطَهُما . واقْتَرَحَ



توم أنْ يَعيشا حَياةَ الجَريمَةِ . وَأعْجِبَ جو بِالاقْتِراحِ إعْجاباً شَديداً ، واتَّفَقا عَلى أنْ يُصْبِحا قُرْصانَيْنِ . وَكانَتْ ثَمَّةَ جَزيرَةٌ مَهْجورَةٌ بِالقُرْبِ مِنْهُما في نَهْرِ المِسيسِبِّي ، وَكانَ اسْمُها جَزيرَةَ جاكْسون وَتَنْمو عَلَيْها أشْجارٌ كَثيرَةٌ . وَقالَ توم لِصَديقِهِ : « سَنَلْتَقي هُناكَ حَيْثُ يُمْكِنُنا أنْ نُقيمَ لَنا مُعَسْكَراً . هَلْ أحْضِرُ مَعي هاك ؟ » وَ وافَقَ جو ، فَذَهَبَ توم يَبْحَثُ عَنْ هاكلبِري ، الَّذي وافَقَ بِدَوْرِهِ عَلى الاشْتِراكِ مَعَهُما ؛ فَقَدْ كانَتِ الأمورُ تَسْتَوي عِنْدَهُ . وَسَرَقوا بَعْضَ الطَّعامِ ، وَراحوا يَتَناوَلونَهُ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ .

وَعَثَروا فيما بَعْدُ عَلى طَوْفٍ فَسَرَقوهُ أيْضاً ، وَنَزَلوا بِهِ إلى النَّهْرِ

وَأبْحَروا . وَ وقَفَ توم في الوَسَطِ وأعْطى أوامِرَهُ كالرُّبّانِ . وَ وَصَلَ بِهِم الطَّوْفُ إلى جَزيرَةِ جاكسون ، وَكانَتِ السّاعَةُ تُشيرُ إلى الثّانِيَةِ صَباحًا ، وَفي الحالِ أوْقَدوا نارًا . وَكانوا يَسْتَمْتِعونَ بِوَقْتِهِمْ كَثيرًا ، وَتَناوَلوا وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنَ الطَّعامِ .

وَصاحَ توم : « هَذا هُوَ نَوْعُ الحياةِ الحَقَّةِ ؛ فَلا عَلَيْنا أنْ نَسْتَيْقِظَ مُبَكِّرينَ ، وَلا عَلَيْنا أنْ نَذْهَبَ إلى المَدْرَسَةِ ، وَلا عَلَيْنا أنْ نَغْسِلَ وُجوهَنا . »

قالَ هاكِلْبِري : « إنَّ القَراصِنَةَ لا يَفْعَلونَ هَذِهِ الأشياءَ أبَدًا ؛ وَلَكِنْ ما الَّذي يَفْعَلُهُ القَراصِنَةُ ؟ »

رَدَّ توم : « إنَّهُمْ يَسْتَوْلونَ عَلى السُّفُنِ وَيُحْرِقونَها . وَيَعْثُرونَ عَلى المالِ في بَعْضِ السُّفُنِ ، فَيَدْفِنونَهُ في أماكِنَ غَريبَةٍ في جَزيرَتِهِمْ . وَهُناكَ دائِمًا بَعْضُ الأشْباحِ في الجُزُرِ ، وَهِيَ تُراقِبُ المالَ ، وَتَبْقَى بِجِوارِهِ لِتَحْرُسَهُ ؟ »

وَاسْتَمَرَّ حَديثُ الأوْلادِ بَعْضَ الوَقْتِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَكانوا مُتْعَبينَ. وَبَدَأوا يَشْعُرونَ أنَّ رَحيلَهُمْ عَنْ بُيوتِهِمْ خَطَأٌ ، وَالسَّرِقَةَ خَطَأٌ أيْضًا ؛ لِذا قَرَّروا ألا يَسْرِقوا مَرَّةً أخْرى .

وَسَرْعانَ ما اسْتَغْرَقوا في النَّوْمِ .

الفصل الحادي عشر

زيارة غريبة

في الصَّباحِ اكْتَشَفَ الأوْلادُ اخْتِفاءَ طَوْفِهِمْ ؛ فَقَدْ جَرَفَهُ النَّهْرُ بَعيدًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْتَرِثوا بِالأمْرِ . وَتَناوَلوا إفْطارَهُمْ سَمَكًا مَشْوِيًّا شَهِيًّا ، ثُمَّ قامَ القَراصِنَةُ الثَّلاثَةُ بِالتَّجْوالِ في جَزيرَتِهِمْ . وَكانوا يَسْبَحونَ في النَّهْرِ مَرَّةً كُلَّ ساعَةٍ . وَلَمْ يَعودوا إلى المُعَسْكَرِ إلّا قَبْلَ الغُروبِ . وَتَناوَلوا بَعْضَ ما لَدَيْهِمْ مِنْ لَحْمٍ ، وَجَلَسوا صامِتينَ . وَكانوا جَميعًا يُفَكِّرونَ في بُيوتِهِمْ ، وَلَكِنْ لَمْ يَفُهْ أحَدُهُمْ بِكَلِمَةٍ .

وَبَيْنَما كانوا جالِسينَ سَمِعوا صَوْتًا غَريبًا آتِيًا مِنَ النَّهْرِ ، فَذَهَبوا يَسْتَطْلِعونَ الأمْرَ . وَعَلى بُعْدٍ رَأوْا بَعْضَ القَوارِبِ تَحْمِلُ بَعْضَ الرِّجالِ ، وَكانَ المَأمورُ واحِدًا مِنْهُمْ .

قالَ توم : « إنَّهُمْ يَبْحَثونَ عَنْ جُثَّةٍ في النَّهْرِ ؛ فَقَدْ غَرِقَ شَخْصٌ ! »

وَعَقَّبَ هاكِلْبِري : « هٰذا صَحيحٌ . لَقَدْ فَعَلوا الشَّيْءِ نَفْسَهُ في الصَّيْفِ الماضي عِنْدَما ماتَ بيل تيرنر . وَلكِنْ تُرى مَنِ الَّذي غَرِقَ ؟ »

وَراقَبَ الأَوْلادُ القَوارِبَ لِبَعْضِ الوَقْتِ ، وَفَجْأَةً قالَ توم : « إِنَّني أَعْرِفُ أَنَّهُم يَبْحَثون عَنَّا . يَظُنُّونَ أَنَّنا مِتْنا ! »

كانوا جَميعاً في غايَةِ السُّرورِ ؛ فَالنَّاسُ آسِفونَ لِغِيابِهِمْ . وَها هُمْ أُولاءِ يَبْحَثونَ عَنْ جُثَثِهِمْ ، وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَبْكي عَلى فِراقِهِمْ .

وَفي المَساءِ ابْتَعَدَتِ القَوارِبُ ، وَعادَ القَراصِنَةُ الثَّلاثَةُ إِلى المُعَسْكَرِ . واصْطادوا بَعْضَ الأَسْماكِ وَطَهَوْها ، وَراحوا يَتَناوَلونَ وَجْبَتَهُمْ وَهُمْ يَتَحَدَّثونَ عَنْ قَوارِبِ البَحْثِ عَنْهُمْ ، وَتَذَكَّروا سُكَّانَ القَرْيَةِ المُخْتَلِفينَ وَأَحْزَنَهُمْ ذَلِكَ ، فَتَساءَلَ جو : « أَ يَنْبَغي عَلَيْنا أَنْ نَعودَ ؟ » لَكِنَّ توم ضَحِكَ مِنَ الفِكْرَةِ ، وَكَذَلِكَ هاكِلْبِري .

وَعِنْدَما حَلَّ اللَّيْلُ نامَ هاكِلْبِري وَ جو ، فَتَسَلَّلَ توم بِهُدوءٍ وَسارَ بَيْنَ الأَشْجارِ . وَ واصَلَ سَيْرَهُ إِلى النَّهْرِ ، ثُمَّ سَبَحَ فيهِ حَتَّى الشَّاطِئِ . وَفي السَّاعَةِ العاشِرَةِ وَالنِّصْفِ كانَ في القَرْيَةِ ، وَذَهَبَ بِهُدوءٍ صَوْبَ بَيْتِ خالَتِهِ ، وَسَرْعانَ ما أَصْبَحَ في الحَديقَةِ .

وَكانَتْ ثَمَّةَ شَمْعَةٌ مُشْتَعِلَةٌ في إِحْدى الغُرَفِ . وَاسْتَطاعَ توم أَنْ

يَرى خالَتَهُ وَسيدْ وماري وَ والِدَةَ جو هاربر ، وَكانوا يَتَكَلَّمونَ وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُ . وَبِهُدوءٍ شَديدٍ دَخَلَ المَنْزِلَ وَاخْتَبَأَ تَحْتَ سَريرٍ . وَلَمْ يُغْلِقِ البابَ جَيِّداً ، وَهَبَّتْ عَلى البَيْتِ رِيحٌ خَفيفَةٌ .

قالَتْ خالَتُهُ : « أَرى ضَوْءَ الشَّمْعَةِ يَتَراقَصُ . إِنَّني أَشْعُرُ بِريحٍ في الغُرْفَةِ . البابُ ! آهِ ، لَقَدْ فَهِمْتُ . البابُ مَفْتوحٌ . أَغْلِقْهُ ، يا سيدْ مِنْ فَضْلِكَ . »

وأَغْلَقَ سيدْ البابَ الَّذي تَرَكَهُ توم مَفْتوحاً ، ثُمَّ جَلَسَ مَرَّةً أُخْرى .

واصَلَتِ الخالَةُ كَلامَها : « كَثيراً ما كُنْتُ أَقولُ إِنَّ توم وَلَد غَيْرُ سَيِّئٍ ؛ فَلَهُ قَلْبٌ طَيِّبٌ وَلكِنَّني كُنْتُ أُعاقِبُهُ في بَعْضِ الأَحْيانِ . » ثُمَّ راحَتْ تَبْكي بِصَوْتٍ خافِتٍ .

وَبَدَأَتْ والِدَةُ جو هاربر تَبْكي هِيَ الأُخْرى وَقالَتْ : « إِنَّ ابْني جو كانَ دائِماً عَطوفاً عَلَيَّ ، وَكانَ يَسْرِقُ أَحْياناً بَعْضَ الأَشْياءِ ؛ لِذا كُنْتُ أَضْرِبُهُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْرِقُ دائِماً . وَلَمْ أَكُنْ عَلى حَق دائِماً كُلَّما ضَرَبْتُهُ ؟ »

قالَ سيدْ : « لَمْ يَكُنْ توم وَلَداً طَيِّباً . »

صَرَخَتْ فيهِ الخالَةُ بوللي : « لا تَقُلْ كَلِمَةً واحِدَةً ضِدَّ توم

العزيزِ ! كُنْتُ أستريحُ لهُ ، ولكِنِي غضِبْتُ مِنهُ عِندما أعطي القِطّةَ جُرْعَةً مِنْ « مُسكّنِ الألمِ » . وأرجو أنْ يغفِرَ لِيَ اللّهُ . لقد ارْتاحَ توم الآنَ مِنْ متاعِبِه .» وَوضعَتِ الخالةُ يدَيْها على وَجْهِها ، وأجهشَتْ بالبُكاءِ بِصوْتٍ عالٍ .

كانَ الجميعُ يبْكُونَ فيما عدا سيدْ . حتّى توم بدَأ يبْكي وهُوَ تحْتَ السّريرِ . وأرادَ أنْ يُطيِّبَ خاطِرَ خالتِهِ ، لكنّهُ ظلَّ في مكانِه مُختبِئًا . وكانَ الآخرونَ يتكلّمونَ عنْ جو هارير وعَنْهُ ، وأرادَ توم أنْ يُنْصِتَ لِما يُقالُ .

في بادِئِ الأمْرِ ظنَّ الجميعُ أنَّ الأوْلادَ ذهبوا يَسْبَحونَ ، ولكِنّهم لمْ يعودوا إلى منازِلِهم . ولِذلِكَ اعْتَقَدَ كُلُّ واحِدٍ أنّهم غرِقوا في النّهْرِ ، لكِنّهمْ سمِعوا بعْدَ ذلِكَ أنَّ طوْفًا قد اختفَى ، فاعْتقدوا أنَّ الأوْلادَ أخذوهُ . ثُمَّ عُثِرَ على الطّوْفِ دونَ الأوْلادِ ، فأيْقَنَ النّاسُ أنَّ الأولادَ ماتوا . وقالتِ الخالةُ بوللي : « إنَّ جنازَتَهُم ستكونُ يومَ الأحَدِ .» وعادتْ والدةُ جو هارير باكيةً إلى بيْتِها ، وذهبتِ الخالةُ بوللي إلى فِراشِها باكيةً أيْضًا . وعِندما استغرَقَتْ في النّوْمِ قامَ توم وقبّلَها ، ثُمَّ غادرَ المنزلَ بِهُدوءٍ ، ولكِنّهُ لمْ ينْسَ ما قيلَ عنِ الجنازةِ . وقالَ لِنفسِهِ بِهُدوءٍ : « يوْمَ الأحَدِ .. لا بُدَّ أنْ أتذكّرَ ذلِكَ .»

وفكّرَ في خُطّةٍ بسيطةٍ وهُوَ عائِدٌ إلى المُعسْكرِ .

الفصل الثاني عشر

القراصنة منعزلون

لعِبَ الأوْلادُ على الرِّمالِ ، وسَبَحوا في النّهْرِ . وعِنْدما أحسّوا بالتّعبِ استَلْقَوْا على الرِّمالِ السّاخِنةِ ، ثُمَّ غطَّوْا أنفُسَهُم بِها . وبعْدَ قليلٍ جلسوا على الرِّمالِ ، ونَظَروا إلى بَعيدٍ عَبْرَ النّهْرِ ، فأمكنَهُمْ أنْ يَرَوُا القرْيَةَ . وكتَبَ توم اسْمَ بِكي على الرَّمْلِ بإبْهامِ قدَمِهِ ، ولكِنّهُ غضِبَ مِنْ نفْسِهِ ، ومحا الاسْمَ ، ثُمَّ كتَبَهُ ثانيةً .

كانَ جو يوَدُّ العوْدَةَ إلى بيْتِهِ ، ولمْ يكُنْ هاكِلبري سعيدًا لأنَّ المكانَ كانَ يُشْعِرُ بالوَحْشَةِ . وكانَ توم يُريدُ أنْ يرى بِكي ، ولكِنّهُ لمْ يُفْصِحْ عَنْ ذلِكَ .

قالَ جو : « أريدُ العوْدَةَ إلى بيْتي ، فالمكانُ هُنا مُنْعزِلٌ ومُوحِشٌ .»

قالَ توم : « سوْفَ تُصْبِحُ في القريبِ سعيدًا يا جو ، فهُنا يُمْكِنُنا

صَيْدُ السَّمَكِ .»

« لا أريدُ أنْ أصْطادَ السَّمَكَ ، بَلْ أريدُ العَوْدَةَ إلى بَيْتي .»

قالَ توم : « يُمْكِنُكَ السِّباحَةُ هُنا .»

رَدَّ جو : « لا أحِبُّ السِّباحَةَ عِنْدَما لا يَمْنَعُني عَنْها أحَدٌ .»

« إنَّكَ طِفْلٌ . إنَّكَ تُريدُ العَوْدَةَ لِتَرى أمَّكَ .»

« نَعَمْ أريدُ أنْ أعودَ لأرى أمّي . إنَّكَ بِلا أمٍّ ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ هَذا الإحْساسَ ! كما أنَّني لَسْتُ بِطِفْلٍ .»

قالَ توم : « سَنَدَعُ الطِّفْلَ الصَّغيرَ يَعودُ إلى مَنْزِلِهِ لِيَرى أمَّهُ . وَلَكِنَّكَ مُعْجَبٌ بِالمكانِ هُنا ؛ أليْسَ كَذَلِكَ يا هاك ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري بِصَوْتٍ ضَعيفٍ ، وَنَظَراتُ الشَّكِّ تَبْدو على مُحَيّاهُ : « نـ .. عـ .. م !»

وَنَهَضَ جو مِنْ مَكانِهِ ، وَبَدَأ يَرْتَدي مَلابِسَهُ .

قالَ توم مُحْتَجًّا : « أيُّ نَوْعٍ مِنَ القَراصِنَةِ أنْتَ ؟ يُمْكِنُني أنا وَهاكِلْبِري أنْ نُصْبِحَ قُرْصانَيْنِ بِدونِكَ .»

لَكِنَّ جو ارْتَدى مَلابِسَهُ ، فَشَعَرَ توم بِالقَلَقِ . وَراقَبَ هاكِلْبِري ما كانَ يَجْري بِحُزْنٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَنَزَلَ إلى الماءِ ، واشْتَدَّ

شُعورُ توم بِالقَلَقِ أكْثَرَ ، فَنَظَرَ إلى هاكِلْبِري .

قالَ هاكِلْبِري : « وَأنا أريدُ أنْ أذْهَبَ أيْضا ؛ فالمكانُ هُنا مُوحِشٌ مُنْذُ جِئْناهُ ، وَسَيَكونُ أسْوَأ بَعْدَ ذَلِكَ . تَعالَ مَعي ، يا توم ، وَسَنَذْهَبُ مَعًا .»

قالَ توم : « لَنْ أعودَ وَيُمْكِنُكَ أنْ تَذْهَبَ إذا كانَتْ هَذِهِ رَغْبَتَكَ ، أمّا أنا فسَأمْكُثُ هُنا .»

وَجَمَعَ هاكِلْبِري مَلابِسَهُ وَارْتَداها ، ثُمَّ غادَرَ المكانَ تارِكًا توم وَحْدَهُ . وَراقَبَ توم الاثْنَيْنِ بِحُزْنٍ وَأسًى ، وَكانَ يَوَدُّ أنْ يَذْهَبَ مَعَهُما ، لَكِنَّ كِبْرِياءَهُ مَنَعَتْهُ . ثُمَّ تَذَكَّرَ خُطَّتَهُ السِّرِّيَّةَ ، فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ صائِحًا : « انْتَظِرا ! انْتَظِرا ! أريدُ أنْ أقولَ لَكُما شَيْئًا .»

وَتَوَقَّفَ الاثْنانِ ، وَاسْتَدارا لِيَنْظُرا إلَيْه ، فَجَرى نَحْوَهُما ، وَأطْلَعَهُما عَلى فِكْرَتِهِ . وَما إنْ أتَمَّ كَلامَهُ حَتّى ضَحِكَ الاثْنانِ بِصَوْتٍ عالٍ ، وأقَرّا بِأنَّها خُطَّةٌ مُدْهِشَةٌ . وَبَعْدَ قَليلٍ عادَ الثَّلاثَةُ إلى المُعَسْكَرِ .

وَبَعْدَ أنْ تَناوَلوا غَداءَهُمْ راحوا يَتَحَدَّثون ، وَطالَ بِهِمُ الحَديثُ ، وَتَذَكَّروا الأوْلادَ الآخَرينَ في المَدْرَسَةِ . وَلَكِنْ ، كانَتْ هُناكَ وَقَفاتٌ في حَديثِهِم ، وَكانَتْ فَتَراتُ الصَّمْتِ أطْوَلَ . وَكانَتْ وُجوهُهُمْ مُمْتَقِعَةً وَمُبْتَلَّةً .

وَقالَ جو بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « لَقَدْ فَقَدْتُ سِكّيني ، وَسَأَذْهَبُ لأَبْحَثَ عَنْها ».

وَكانَ توم يَرْتَعِشُ ، وَتَمَنّى لَوْ كانَ قَدْ ماتَ ، فَقالَ : « سَأُساعِدُكَ . سِرْ في هذا الطَّريقِ ، وَسَأَذْهَبُ أنا في ذلك الطَّريقِ . وَلا داعِيَ لأَنْ تَأْتي مَعَنا ، يا هاك ؛ فَيُمْكِنُنا أَنْ نَعْثُرَ عَلَيْها ».

وَجَلَسَ هاكِلْبِري مَرَّةً أُخْرى ، وَانْتَظَرَ لِمُدَّةِ ساعَةٍ . وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالوَحْدَةِ ؛ فَقامَ يَبْحَثُ عَنْ صَديقَيْهِ . وَ وَجَدَهُما نائِمَيْنِ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ في مَكانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُما مَريضانِ .

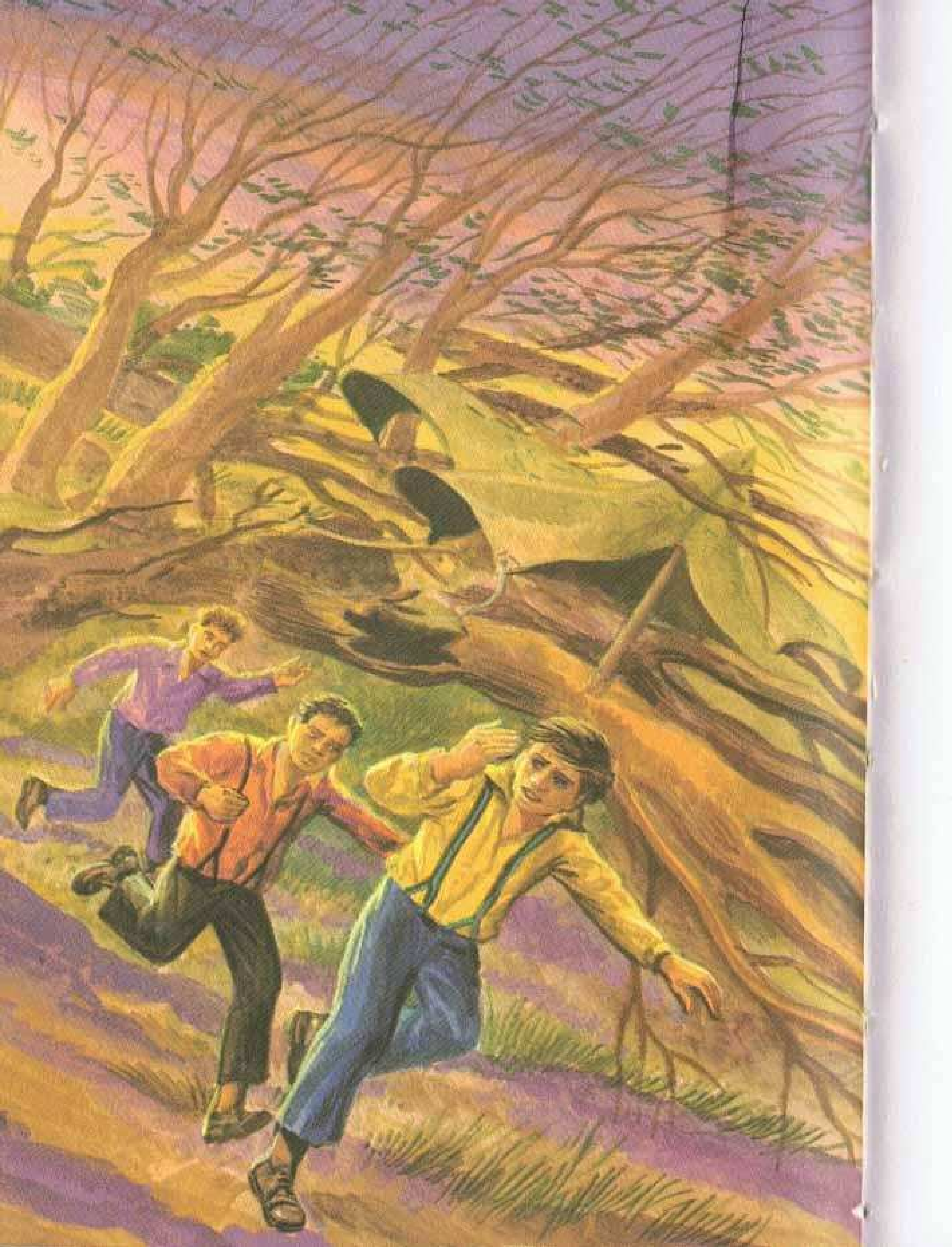
وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَتَحَدَّثوا كَثيراً أَثْناءَ تَناوُلِهِمْ طَعامَ العَشاءِ .

الفصل الثالث عشر

العاصفة

في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ اسْتَيْقَظَ جو مِنْ نَوْمِهِ ؛ فَقَدْ كانَ ثَمَّةَ شَيْءٌ غَريبٌ يَحْدُثُ ؛ فَنادى عَلى الوَلَدَيْنِ الآخَرَيْنِ . وَبَعيداً عَنِ النّارِ المُشْتَعِلَةِ ، كانَ المَكانُ مُظْلِماً . وَلِلَحْظَةٍ خاطِفَةٍ ظَهَرَ ضَوْءٌ غَريبٌ ، وَأَمْكَنَهُمْ أَنْ يَرَوا الأَشْجارَ بِسُهولَةٍ . ثُمَّ كانَتْ هُناكَ أَيْضاً وَمْضَةٌ لامِعَةٌ أُخْرى مِنَ الضَّوْءِ ، ثُمَّ تَبِعَتْها وَمْضَةُ ضَوْءٍ ثالِثَةٌ ، وَفَجْأَةً دَوّى صَوْتُ الرَّعْدِ عَبْرَ السَّماءِ . وَسَقَطَتْ قَطَراتٌ قَليلَةٌ مِنَ المَطَرِ عَلى أَوْراقِ الأَشْجارِ . وَهَبَّتْ ريحٌ لَطيفَةٌ عَلى وُجوهِهِمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ . وَتَبِعَ ذَلِكَ وَمَضاتٌ مِنَ الضَّوْءِ ، وَأَرْعَدَتِ السَّماءُ ، وَأَحَسَّ الأَوْلادُ بِالخَوْفِ . وَلَمْ يَكونوا في خَيْمَتِهِمْ عِنْدَما بَدَأَتِ العاصِفَةُ ، وَسُرْعانَ ما ابْتَلَّتْ مَلابِسُهُمْ ؛ فَصاحَ توم : « أَسْرِعوا ! ادْخُلوا الخَيْمَةَ ».

وَجَرى الثَّلاثَةُ في الظَّلامِ نَحْوَ الخَيْمَةِ ، وَ وَجَدوا طَريقَهُمْ عَلى



ضَوْءِ وَمَضاتِ البَرْقِ . وَلَمّا دَخَلوا الخَيْمَةَ كانَ المَطَرُ قَدْ بَلَّلَهُمْ تَماماً . وَحاوَلوا أَنْ يَتَكَلَّموا ، وَلٰكِنَّ صَوْتَ العاصِفَةِ الرَّهيبَ مَنَعَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ . وَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ ، وَسَقَطَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ . وَاسْتَمَرَّتْ وَمَضاتُ البَرْقِ وَكَذٰلِكَ الرَّعْدُ خارِجَ الخَيْمَةِ . وَفَجْأَةً مَزَّقَتِ الرِّيحُ العَنيفَةُ خَيْمَتَهُمْ ، وَطَوَّحَتْ بِها بَعيداً .

وَأَصْبَحَ الثَّلاثَةُ بِلا غِطاءٍ يَحْميهِمْ مِنْ عُنْفِ العاصِفَةِ ، فَجَرَوْا نَحْوَ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ . وَكانَتِ الشَّجَرَةُ وَغَيْرُها مِنَ الأَشْجارِ مُنْحَنِيَةً تَحْتَ وَطْأَةِ الرِّيحِ وَشِدَّةِ هُبوبِها ، وَأَحْياناً كانَتْ شَجَرَةٌ عالِيَةٌ تَسْقُطُ إِلى الأَرْضِ مُحْدِثَةً صَوْتاً عَظيماً . وَانْضَمَّ صَوْتا الرِّيحِ وَالرَّعْدِ إِلى الصَّوْتِ الَّذي أَحْدَثَهُ سُقوطُ الأَشْجارِ الضَّخْمَةِ . وَاسْتَمَرَّ عُنْفُ العاصِفَةِ لِوَقْتٍ طَويلٍ . وَأَخيراً هَدَأَتِ العاصِفَةُ ، وَاخْتَفى البَرْقُ وَالرَّعْدُ .

عادَ الثَّلاثَةُ بَعْدَ العاصِفَةِ إِلى المُعَسْكَرِ الَّذي أَصْبَحَ الآنَ مَكاناً مُخْتَلِفاً . كانَتْ شَجَرَةٌ تُظَلِّلُ فِراشَهُمْ ، لٰكِنَّ العاصِفَةَ حَطَّمَتْها وَسَقَطَتْ عَلى الأَرْضِ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مُبْتَلّاً فيما عَدا بَعْضِ أَغْصانٍ بِجِوارِ الشَّجَرَةِ . كانَتْ مَلابِسُهُمْ مُبْتَلَّةً تَماماً ، وَلَمْ تَكُنْ خَيْمَتُهُمْ مُثَبَّتَةً في مَكانِها العادِيِّ . وَانْطَفَأَتِ النّارُ الَّتي أَشْعَلوها . وَكانَ المَكانُ مُوحِشَ المَنْظَرِ ، وَخافَ الأَوْلادُ وَارْتَعَبوا .

وَكانَتْ مُعْظَمُ الأغْصانِ مُبْتَلَّةً ، فَلَمْ يَتَمَكَّنوا مِنْ إشْعالِ نارٍ ؛ وَلكِنَّهُمْ عَثَروا بَعْدَ ذَلِكَ عَلى قَليلٍ مِنَ الأغْصانِ الجافَّةِ تَحْتَ جِذْعِ شَجَرَةٍ مُلْقًى . وقاموا بِإشْعالِ نارٍ جَفَّفَتْ مَلابِسَهُم المُبْتَلَّةَ .

بَعْدَ ذَلِكَ طَهَسوا بَعْضَ اللُّحومِ وَتَناوَلوا وَجْبَةً شَهِيَّةً . وَلَمْ يَناموا مَرَّةً أخْرَى في تِلْكَ العاصِفَةِ ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَكانٌ جافٌّ يَنامونَ فَوْقَهُ .

وَعِنْدَما أشْرَقَتِ الشَّمْسُ في الصَّباحِ نامَ ثَلاثَتُهُمْ عَلى الرِّمالِ . وَلكِنَّهُمْ اسْتَيْقَظوا عِنْدَما اشْتَدَّتْ حَرارَةُ الشَّمْسِ ، وَلَمْ يَسْتَطيعوا مُواصَلَةَ النَّوْمِ . وَأعَدّوا فُطورَهُمْ ، وَلكِنَّهُمْ تَناوَلوه بِحُزْنٍ ؛ لأنَّهُمْ كانوا يَشْعُرونَ بِالمَرَضِ . وَكانَ جو وها كِلْبِري حَزينَيْنِ بِوَجْهٍ خاصٍّ . وَلاحَظَ توم مَعالِمَ ذَلِكَ الحُزْنِ عَلى وَجْهَيْهِما ، فَذَكَّرَهُما بِخُطَّتِهِ السِّرِّيَّةِ فَضَحِكا . وَبِمُضِيِّ الوَقْتِ تَحَسَّنا بَعْضَ الشَّيءِ ، وَقاما لِلَّعِبِ مَعَ توم ، وَتَغَنَّوا جَميعاً في تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

الفصل الرابع عشر

الجِنازات

في المَدينَةِ الصَّغيرَةِ لَمْ تَكُنْ بكي ثاتشر سَعيدَةً . وَكانَ عَلَيْها أنْ تَذْهَبَ إلى المَدْرَسَةِ ، وَلكِنَّ توم لَمْ يَكُنْ هُناكَ ، فَأحَسَّتْ أنَّها وَحيدَةٌ وَتَذَكَّرَتِ الأكْرَةَ المَعْدِنِيَّةَ ، تِلْكَ الَّتي تَرَكَتْها عَلى مَكْتَبِ توم ، وَأصْبَحَتِ الآنَ لا تَمْلِكُ أكْرَةً مِثْلَها . وَراحَتْ تُفَكِّرُ : « إنَّني لَنْ أراهُ مَرَّةً أخْرَى ، لَنْ أراهُ أبَداً ! أبَداً !» وَبَدَأتْ تَبْكي بِهُدوءٍ في رُكْنٍ مِنْ أرْكانِ غُرْفَةِ الدِّراسَةِ .

وَجاءَ بَعْضُ الأولادِ والبنات وأطَلّوا مِنْ فَوْقِ سورِ المَدْرَسَةِ ، وَكانوا يَتَكَلَّمونَ عَنْ توم وَيُفَكِّرونَ فيهِ . وَاسْتَطاعَتْ بكي أنْ تَسْمَعَ بَعْضَ أحاديثِهِمْ .

قالَ أحَدُهُمْ : « هَلْ تَذْكُرُ ابتسامَةَ توم السَّعيدَةَ ؟» وَقالَ آخَرُ : « كُنْتُ أقِفُ بِالقُرْبِ مِنْهُ . قَريباً جِدًّا مِنْهُ . تَخَيَّلْ ذَلِكَ ! وَابْتَسَم

توم وَشَعَرْتُ بِغرابَةٍ ! وَالآنَ قَدْ ماتَ توم ! أ لَيْسَ ذَلِكَ فَظيعاً ؟»

سَأَلَ أَحَدُهُمْ : « مَنِ الَّذي رَآه آخِرَ مَرَّةٍ ؟» فَقالَ أَحَدُ الأَوْلادِ إِنَّهُ رأى توم مُنْذُ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ جِدًّا . وَ وافقَ الآخَرون عَلى أَنَّ أَحداً لَمْ يَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَأَصْبَحَ ذَلِكَ الوَلَدُ الَّذي رَآه أخيراً عَلى دَرَجَةٍ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِباقي الأَوْلادِ .

كانَ كُلُّ واحِدٍ يُفَكِّرُ في جو وتوم ، وَاعْتَقَدَ الجَميعُ أَنَّهما ماتا . وَفي اليَوْمِ التّالي دُقَّتِ الأَجْراسُ في البَلْدَةِ دقّاتٍ حَزينَةً ، وَسَمِعَها النّاسُ في القَرْيَةِ ، كَما سَمِعَها الفَلّاحونَ في الحُقولِ البَعيدَةِ ، وَسَمِعَتْها بِكي أَيْضاً . وَكانَ يَوْماً حَزيناً ؛ لأَنَّهُ كان يَوْمَ الجِنازاتِ .

وَتَجمَّعَ النّاسُ وراحوا يَتَحَدَّثونَ في هَمْسٍ ، ثُمَّ ساروا بِبُطْءٍ ناحِيَةَ ساحَةِ البَلْدَةِ الَّتي سَرْعانَ ما امْتَلأَتْ بِهِمْ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ جاءَتْ الخالَةُ بوللي وَسيدْ وَماري ، ثُمَّ السَّيِّدَةُ هارِبر مَعَ عائِلَتِها . وَكانوا جَميعاً يَرْتَدونَ مَلابِسَ سَوْداءَ اللَّوْنِ . وَكانَتْ جَميعُ الوُجوهِ حَزينَةً جِدًّا .

كانَ النّاسُ يُفكِّرونَ في الوَلَدَيْنِ المِسْكينَيْنِ ؛ فَقَدْ كانا في حَياتِهِما مِنَ الأَوْلادِ الطَّيِّبينَ وَلكِنَّهما الآنَ قَدْ ماتا ! أ لَمْ يَكونا أَفْضَلَ مِنَ الأَوْلادِ الآخَرينَ ؟ وَكانَ الصَّمْتُ وَالوجومُ والحُزْنُ تُخَيِّمُ

عَلى الجَميعِ ، وَفَجْأَةً سَمِعَ النّاسُ صَوْتاً خافِتاً ، وَاسْتَدارَ كلُّ وَجْهٍ وكُلُّ عَيْنٍ نَحْوَ ذَلِكَ الصَّوْتِ .

وَاتَّسَعَتِ العُيونُ عَنْ آخِرِها في دَهْشَةٍ بالِغَةٍ ؛ فَقَدْ ظَهَرَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ أَمامَ الجَميعِ ، وَكانَ توم في المُقَدِّمَةِ يَتْبَعُهُ جو ، وَمِنْ خَلْفِهِ هاكِلْبِري . وَتَعالَتْ صَيْحاتُ الدَّهْشَةِ وَالتَّعَجُّبِ . إِذاً فَالأَوْلادُ لَمْ يَموتوا . إِنَّهُمْ أَحْياءٌ !

ارْتَمَتِ الخالَةُ بوللي وَالسَّيِّدَةُ هارِبر وماري عَلى جو وتوم ، وَقَبَّلَتْ كُلُّ واحِدَةٍ وَلَدَها ، وَطَوَّقَتْه بِذِراعِها . وَتَعالَتْ صَيْحاتُ السَّعادَةِ وَالفَرَحِ . وَلَكِنَّ هاكِلْبِري ظَلَّ واقِفاً في الخَلْفِ ، وَحاوَلَ أَنْ يَخْتَبِئَ . لَمْ يَتَذَكَّرْهُ أَيُّ إِنْسانٍ لِوَقْتٍ قَصيرٍ فَقالَ توم مُوَجِّهاً كَلامَهُ لِخالَتِهِ : « أ لَيْسَ هُناكَ أَيُّ شَخْصٍ فَرِحَ بِهاك ؟ لَقَدْ عادَ هُوَ أَيْضاً .»

أَجابَتْهُ : « إِنَّني سَعيدَةٌ بِهِ ! يا لَلْمِسْكينِ ! لَمْ يُقَبِّلْهُ إِنْسانٌ قُبْلَةً واحِدَةً !» وَتَقَدَّمَتِ الخالَةُ بوللي نَحْوَ هاكلبري ، وَطَبَعَتْ عَلى جَبينِهِ قُبْلَةً ، وَلَكِنَّ قُبْلَتَها لَمْ تَجْعَلْهُ سَعيداً . لَقَدْ رَآهُما كُلُّ شَخْصٍ ، وَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ .

كانَتْ هَذِهِ هِيَ خُطَّةُ توم السِّرِّيَّةُ . كانَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ قَدْ وافقوا

عَلى أن يَعودوا إلى بُيوتِهِم ، ثُمَّ يَذْهبوا أَيْضاً إلى جِنازاتِهِم . لَقَدْ ناموا خارِجَ البَلْدَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَعِنْدَما أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ذَهَبوا إلى السّاحَةِ مُبَكِّراً ، وَمَكَثوا بِها بَعْضَ الوَقْتِ ، ثُمَّ دَقَّتِ الأَجْراسُ مُعْلِنَةً عَنْ مَوْعِدِ الجِنازاتِ .

وَعَلى مائِدَةِ الفُطورِ في صَباحِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ أَبْدَتْ كُلٌّ مِنَ الخالَةِ بوللي وماري رِقَّةً وَحَناناً نَحْوَ توم وَقَدَّمَتا لَهُ وَجْبَةً شَهِيَّةً . لَكِنَّ الخالَةَ بوللي قالَتْ : « توم ، اعْتَقَدْتُ أَنَّكَ مِتَّ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً يُريحُني ؛ فَلِماذا لَمْ تَقُلْ لِيَ الحَقيقَةَ ؟ لِماذا لَمْ تَعُدْ إلى هُنا لِتُطْلِعَني عَلى الأَمْرِ ؟»

قالَتْ ماري : « إنَّ توم لا يُفَكِّرُ في الآخَرينَ .»

رَدَّ عَلَيْها توم : « أَنْتِ تَعْرِفينَ ، يا خالَتي ، أَنَّني أَهْتَمُّ بِكِ ، وَقَدْ حَلُمْتُ بِكِ ؛ فَهَذا شَيْءٌ مُهِمٌّ .»

رَدَّتْ عَلَيْهِ خالَتُهُ : « إنَّ اهْتِمامَكَ هَذا أَفْضَلُ مِنْ لا شَيْءٍ ، فما الذي حَلُمْتَ بِهِ ؟»

« حَلُمْتُ بِكِ مَساءَ الأَرْبِعاءِ ، وَكُنْتِ جالِسَةً هُناكَ بِجِوارِ الفِراشِ ، وَكانَ سيدْ جالِساً بِالقُرْبِ مِنَ الصُّنْدوقِ وماري بِجِوارِهِ .»

قالَتْ : « جَلَسْنا حَقيقَةً كَما قُلْتَ . وَلَكِنْ بِالطَّبْعِ هَذا ما نَفْعَلُهُ

دائِماً .»

« وَحَلُمْتُ أَنَّ أُمَّ جو هارِبر كانَتْ هُنا .»

قالَتْ : « أَ حَقّاً ما تَقولُ ؟ هذا صَحيحٌ ؛ فَقَدْ كانَتْ هُنا ! هَلْ حَلُمْتَ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ هذا ؟»

« نَعَمْ ، وَلَكِنَّ الحُلْمَ غَيْرُ واضِحٍ الآنَ .»

قالَتِ الخالَةُ : « حاوِلْ أَنْ تَتَذَكَّرَهُ ، يا توم .»

قالَ توم : « أَعْتَقِدُ أَنَّ الرّيحَ كانَتْ تَهُبُّ وَأَطْفَأَتْ لَهَبَ الشَّمْعَةِ .»

« نَعَمْ .. نَعَمْ .. اسْتَمِرَّ ، يا توم .. اسْتَمِرَّ .»

« ثُمَّ قُلْتِ أَنْتِ – ما الَّذي قُلْتِهِ .. دَعيني أُفَكِّرْ .. قُلْتِ إنَّ ذَلِكَ البابَ كانَ مَفْتوحاً .»

صاحَتْ خالَتُهُ : « لَقَدْ قُلْتُ ذَلِكَ بِالفِعْلِ .. قُلْتُهُ فِعْلاً .. أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ، يا ماري ؟ اسْتَمِرَّ يا توم ! هَذا مُدْهِشٌ !»

« ثُمَّ .. ثُمَّ أَظُنُّ ...»

« ما الَّذي تَظُنُّهُ ؟»

« أظُنُّ أنَّكِ تحدَّثْتِ مَعَ سيدْ وَقُلْتِ : أرْجوكَ ، أغْلِقِ البابَ ، يا سيدْ .»

« حقًّا .. قُلْتُ ذَلِكَ بِالفِعْلِ . لَمْ أسْمَعْ في حَياتي شَيْئًا مِثْلَ هَذا ! لا بُدَّ أنْ أخْبِرَ السَّيِّدَةَ هارِبر بِهَذا الأمْرِ .. اسْتَمِرَّ ، يا توم !»

قالَ توم : « إنَّ الحُلْمَ أوْضَحُ الآنَ .. قُلْتِ إنَّني لَمْ أكُنْ وَلَدًا شرّيرًا .»

« نَعَمْ .. نَعَمْ .. ثُمَّ ماذا بَعْدَ ذَلِكَ ؟»

« ثُمَّ بَدَأتِ تَبْكينَ ، وَكَذَلِكَ السَّيِّدَةُ هارِبر بَدَأتْ تَبْكي هِيَ الأُخْرى . قالَتْ إنَّ جو كانَ مِثْلي تَمامًا . قالَتْ إنَّها كانَتْ تَضْرِبُهُ ، وَقالَتْ أيْضًا إنَّها كانَتْ مُخْطِئَةً ، وَقالَ سيدْ ...»

قاطَعَهُ سيدْ قائِلاً : « لا أظُنُّ أنَّني قُلْتُ شَيْئًا .»

قالَتْ ماري : « نَعَمْ ! لَقَدْ قُلْتَ ، يا سيدْ ، إنَّكَ ...»

صاحَتِ الخالَةُ : « اصْمُتي ، يا ماري ، وَدعي توم يَسْتَمِرُّ في كَلامِهِ .»

قالَ توم : « قالَ سيدْ إنَّني لَمْ أكُنْ دائِمًا حَسَنًا .»

قالَتِ الخالَةُ : « كانَتْ هَذِهِ كَلِماتِ سيدْ بِعَيْنِها .»

« وَقُلْتِ لَهُ أنْتِ ، يا خالَتي ، إنَّهُ لا يَجِبُ أنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ .»

رَدَّتِ الخالَةُ : « بِالطَّبْعِ فَعَلْتُ .»

وَاسْتَمَرَّ توم : « وَثَمَّةَ كَلامٌ حَوْلَ طَوْفٍ وحَوْلَ النَّهْرِ . وأرَدْتُمْ جَميعًا أنْ تكونَ الجِنازاتُ في يَوْمِ الأحَدِ . ثُمَّ خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ هارِبر وَكُنْتِ لا تَزالينَ تَبْكينَ ، يا خالَتي ، وَكانَتْ هِيَ تَبْكي أيْضًا . ثُمَّ ذَهَبْتِ إلى فِراشِكِ ، وَعِنْدَما اسْتَغْرَقْتِ في النَّوْمِ قَبَّلْتُكِ .»

« وَهَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، يا توم ؟ سَأسامِحُكَ عَلى أيِّ شَيْءٍ مُقابِلَ ذَلِكَ .»

قالَ سيدْ مُعَقِّبًا : « كانَ ذَلِكَ عَطْفًا مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ حُلْمًا !» وَلَمْ يُعَلِّقْ أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ كَثيرًا .. إنَّهُ حُلْمٌ طَويلٌ وَلَمْ يَكُنْ فيهِ خَطَأٌ واحد . يا لَلْغَرابَةِ !

الفصل الخامس عشر

اثنان يغاران

ذَهَبَ الأَوْلادُ إلى المَدْرَسَةِ ، وَذَهَبَتِ الخالَةُ بوللي إلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ هارِبر . وَهُناكَ وَصَفَتْ لَها حُلْمَ توم المُدْهِش .

أَصْبَحَ توم رَجُلاً عَظيماً الآنَ . وَلَمْ يَعُدْ يَتَسَكَّعُ مِثْلَ الأَوْلادِ الآخَرينَ ، بَلْ كانَ يَسيرُ باهْتِمامٍ مِنْ مَكانٍ لآخَرَ . وَفَعَلَ ذَلِكَ لأَنَّهُ كانَ قُرْصاناً . وَعَرَفَهُ كُلُّ شَخْصٍ وَراقَبَهُ الجَميعُ ، فإذا سارَ في الطَّريقِ تَهامَسَ النّاسُ بِأَشْياءَ مُدْهِشَةٍ عَنْهُ ، وَكانَ يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ هَمْسَهُمْ . وَلَكِنَّ مُلاحَظاتِهِم جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ بِالفَخْرِ وَالسَّعادَةِ .

تَبِعَهُ الأَوْلادُ الصِّغارُ على طولِ الطُّرُقِ ، وَأُعْجِبَ بِهِ الأَطفالُ في المَدْرَسَةِ ، وَكَذَلِكَ أُعْجِبوا بجو . وَعِنْدَما وَصَفَ الاثْنانِ : توم وجو ، مُغامَراتِهِما لَمْ يَصِلا مُطْلَقًا إلى نِهاياتِها . كانا دائِماً قادِرَيْنِ على

تَخَيُّلِ شَيْءٍ إِضافيٍّ .

قَرَّرَ توم أَنَّهُ لَيْسَ في حاجَةٍ إلى بكي ثاتشر الآنَ . كانَ رَجُلاً عَظيماً وَكانَ ذَلِكَ كافِيًا لَهُ . وَتَظاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَها ، وَتَحَرَّكَ بَعيداً ، وَتَحَدَّثَ مَعَ بَناتٍ وَبَنينَ آخَرينَ . كانَتْ تَروحُ وَتَجيءُ بِعَيْنَيْها اللاّمِعَتَيْنِ وَتَلْعَبُ مَعَ الأَوْلادِ الآخَرينَ . وَكانَتْ أَحْيانًا تُمْسِكُ بِفَتاةٍ أُخْرى وَهِيَ تَلْهو بِالقُرْبِ مِنْ توم ، ثُمَّ تَنْظُرُ في اتِّجاهِهِ . وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَكانَ فَخوراً جِدًّا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ أَيَّ اهْتِمامٍ ، وَلِذَلِكَ كَفَّتْ عَنِ اللَّهْوِ بِجِوارِهِ ، وَابْتَعَدَتْ بِبُطْءٍ وَهِيَ تَنْظُرُ ناحِيَتَهُ . وَراحَ توم يَتَحَدَّثُ إلى آمي لورانس .

ظَهَرَتِ الغَيْرَةُ في الحالِ على بِكي . وَسارَتْ بَعيداً ، وَلَكِنَّ قَدَمَيْها أَعادَتاها مَرَّةً أُخْرى إلى توم . وَكانَتْ فَتاةٌ أُخْرى تَقِفُ بِجِوارِ توم فَتَكَلَّمَتْ مَعَها بِكي .

صاحَتْ بكي : « ماري أوستون ! إِنَّكِ بِنْتٌ سَيِّئَةٌ ! لِماذا لَمْ تَحْضُري لِلْمَدْرَسَةِ يَوْمَ الأَحَدِ ؟»

« جِئْتُ .. أَلَمْ تَرَيْني ؟»

« لا .. لَمْ أَرَكِ .. أَيْنَ جَلَسْتِ ؟ أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَكِ عَنِ النُّزْهَةِ .»

رَدَّتْ ماري : « أَيُّ نُزْهَةٍ ؟»

قالَتْ بِكي : « إنَّ أُمّي تُعِدُّ العُدَّةَ لِنُزْهَةٍ خَلَوِيَّةٍ ، وَيُمكِنُ لِجَميعِ أَصْدِقائي أنْ يَأتوا مَعَنا .»

قالَتْ ماري : « هَذا مُدْهِشٌ .. هَلْ سَتَدْعينَ كُلَّ البَناتِ وَالأَوْلادِ هُنا ؟»

نَظَرَتْ بِكي سِرًّا إلى توم وَقالَتْ : « نَعَمْ .. جَميعَ أَصْدِقائي .» لَكِنَّ توم كانَ يَتَحَدَّثُ مَعَ آمي لورانس ، وَيَحكي لَها عَنِ العاصِفَةِ في الجَزيرَةِ .كُلُّ واحِدٍ ما عدا توم وآمي أرادَ أنْ تَدْعُوَهُ بِكي إلى النُّزْهَةِ الخَلَوِيَّةِ . وَأَخَذَ توم صَديقَتَهُ آمي بَعيداً عَنْ الآخَرينَ ، وَحَزِنَتْ بِكي لِذَلِكَ . وَحاوَلَتْ إخْفاءَ مَشاعِرِها ، وَلَمْ تَعُدْ تَهْتَمُّ بِالنُّزْهَةِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَذَهَبَتْ بَعيداً لِتَبْكِيَ . وَخَطَرَتْ لَها فِكْرَةٌ أُخرى .

كانَ توم لا يزالُ يَحكي مُغامَراتِهِ لآمي ، وَنَظَرَ سِرًّا إلى بِكي ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْها . أَيْنَ ذَهَبَتْ ؟ ثُمَّ رَآها . كانَتْ جالِسَةً عَلى مَقْعَدٍ مَعَ ألفريد تِمْبل . كانا يَقْرَآنِ في كِتابٍ ، وَيَنْظُرانِ إلى ما فيه مِنْ صُوَرٍ مَعاً ، وَرَأْساهُما مُتَقارِبانِ مِنْ بَعْضِهِما بَعْضاً ، وَلَمْ يُلاحِظا أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ .

شَعَرَ توم في التَّوِّ بِغَيْرَةٍ شَديدَةٍ ، وَبَدَأَ يَكْرَهُ نَفْسَهُ . فَبِكي كانَتْ حَقيقَةً فَتاتَهُ ، وَقَدْ أَضاعَ فُرْصَةً مُناسِبَةً . وَلَمْ يَعُدْ يَسْمَعُ حَديثَ آمي

السَّعيدَ ، وَلَمْ يُجِبْ عَنْ أَسْئِلَتِها . وَسارَ الاثْنانِ مَعاً ، وَلَكِنَّهُما كانا يَتَّجِهانِ أَحْياناً نَحْوَ المَقْعَدِ الجالِسَةِ عَلَيْهِ بِكي مَعَ زَميلِها . وَاسْتَطاعَ توم أَنْ يَرى بِكي وألفريد بِسُهولَةٍ هُناكَ . وَأَلْهَبَ مَنْظَرُهُما مَعاً عَيْنَيْهِ . وَظَنَّ أنْ بِكي لَمْ تُلاحِظْهُ ، وَهَذا بِالطَّبْعِ جَعَلَهُ حَزيناً كاسِفَ البالِ . وَلَكِنَّها لاحَظَتْهُ سِرًّا ، وَكانَتْ فَرِحَةً ، وَعَرَفَتْ أَنَّها كانَتْ تَكْسِبُ المَعْرَكَةَ . وَاسْتَطاعَتْ أَنْ تَرى أَنَّ توم غَيْرُ سَعيدٍ .

اعْتادَ ألفريد تمبل أنْ يَرْتَدِيَ أَحْسَنَ المَلابِسِ ؛ لِذا لَمْ يَكُنْ توم يُحِبُّهُ . وَسَرْعانَ ما ابْتَعَدَ عَنْ آمي لورانس وَكَلامِها التّافِهِ ، وَعادَ إلى بَيْتِهِ . وَانْتَهى اهْتِمامُ بِكي بِالكِتابِ الَّذي كانَتْ تَقْرَأُ فيهِ مَعَ ألفريد في الحالِ ، وَراحَتْ تَبْكي وَأَراها ألفريد صُورَةً أُخْرى ، لَكِنَّها رَفَضَتْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْها ، وَصاحَتْ فيهِ : « إِلَيْكَ عَنّي ! إِنَّني أَكْرَهُكَ !»

غَضِبَ ألفريد غَضَباً شَديداً مِنْ بِكي ؛ لأَنَّهُ عَرَفَ السَّبَبَ جَيِّداً ؛ فَقَدِ اسْتَخْدَمَتْهُ بِكي لِتُغْضِبَ توم . وَكانَ ألفريدَ يَكْرَهُ توم دائِماً ، وَمِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ اشْتَدَّتْ كَراهِيَتُهُ لَهُ عَنْ ذي قَبْلُ . وَأَرادَ أَنْ يُسيءَ إلى توم ، فَراحَ يَسيرُ عَلى غَيْرِ هُدًى في المَدْرَسَةِ وَحْدَهُ وَهُوَ غاضِبٌ . وَعَثَرَ في حُجْرَةِ الدُّروسِ عَلى أَحَدِ دَفاتِرِ توم ، وَكانَ يَحْتَوي عَلى قَوائِمَ مِنَ الكَلِماتِ اسْتَخْدَمَتْ لِتَعَلُّمِ التَّهَجّي .

وَكانَتْ هَذِهِ فُرْصَتَهُ الفَريدَةَ ؛ فَفَتَحَ الدَّفْتَرَ على الصَّفْحَةِ الَّتي تَحْمِلُ تاريخَ اليَوْمِ ، ثُمَّ سَكَبَ بَعْضَ الحِبْرِ عَلَيْها .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَتْ بِكي تَنْظُرُ مِنْ خِلالِ النّافِذَةِ ، فَرَأَتْ ألفريد ولَكِنَّها لَمْ تَقُلْ أيَّ شَيْءٍ ، وَقَرَّرَتِ الذَّهابَ إلى مَنْزِلِها . وَكانَ يُمْكِنُها أنْ تُخْبِرَ توم عَنِ الحِبْرِ الَّذي انسكَبَ على دَفْتَرِهِ ، وَلَكِنَّها غَيَّرَت رَأيَها قَبْلَ أنْ تَصِلَ إلى بَيْتِها . تَذَكَّرَتْ آمي لورانس وَتَذَكَّرَتِ الدَّعْوَةَ لِلنُّزْهَةِ . وَفَكَّرَتْ في أنَّ توم لَمْ يَهْتَمَّ بِخَبَرِ النُّزْهَةِ الخَلَوِيَّةِ . وَمَلأَتْها هَذِهِ الذِّكْرى بِالخَجَلِ ؛ فَقالَتْ لِنَفْسِها : « سأَكْرَهُهُ إلى الأبَدِ ! وَسَوْفَ يَضْرِبُهُ النّاظِرُ عِنْدَما يَرى الحِبْرَ ، وَأَنا مَسرورَةٌ لأنَّهُ سَيَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ .»

عِنْدَما عادَ توم إلى مَنْزِلِهِ وَجَدَ خالَتَهُ غاضِبَةً لِلْغايَةِ ، فَسَأَلَها : « ما الذي فَعَلْتُهُ الآنَ ؟»

أجابَتْهُ : « رَوَيتَ لي حُلْماً ، وَذَهَبْتُ إلى السَّيِّدَةِ هارير لأَحْكِيَهُ لها ، وَلَكِنَّها كانَتْ تَعْلَمُ أنَّكَ كُنْتَ هُنا حَقيقَةً في تِلْكَ اللَّيْلَةِ . قالَ لَها جو إنَّهُ لَمْ يَكُنْ حُلْماً . فَما الَّذي سَتَظُنُّهُ فيَّ السَّيِّدَةُ هارير الآنَ ؟ سَتَظُنُّ أنَ لي عَقْلَ طِفْلَةٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَب خَطَئِكَ يا توم .»

شَعَرَ توم بِالخِزْيِ ، وَقالَ : « لَمْ أُفَكِّرْ في هذا الأمْرِ ، يا خالَتي

لَكِنّي في تِلْكَ اللَّيْلَةِ جِئْتُ لأقولَ لَكِ الحَقيقَةَ . وَظَنَنْتِ أنَّنا مِتْنا جَميعاً لَكِنَّكِ كُنْتِ مُخْطِئَةً . أرَدْتُ أنْ أقولَ لَكِ الحَقيقَةَ .»

أجابَتْهُ : « أرجوكَ ، يا توم ، لا تَكْذِبْ عَلَيَّ .»

« لَمْ تَكُنْ كِذْبَةً ، يا خالَتي . كُنْتِ حَزينَةً ، وَكُنْتَ أنا آسِفاً . وَلَكِنّي لَمْ أُخْبِرْكِ لأنَّكِ كُنْتِ تَتَكَلَّمينَ . قُلْتِ شَيْئاً عَنِ الجِنازاتِ ، وَأَرَدْتُ أنْ أنصِتَ .»

« هَلْ قَبَّلْتَني حقيقَةً ، يا توم ؟»

« نَعَمْ ، يا خالَتي ، قَبَّلْتُكِ .»

« لِماذا قَبَّلْتَني ؟»

« لأنَّني أُحِبُّكِ ، وَكُنْتِ أنْتِ غَيْرَ سَعيدَةٍ ، وَكُنْتُ آسِفاً .»

الفصل السادس عشر

نُبل تَصرُّفِ توم

كانَ توم في حالَةٍ أَسْعَدَ عِنْدَما عادَ إلى المَدْرَسَةِ . وَبَدا لَهُ أنَّ خالَتَه أصْبَحَتْ تُحِبُّهُ أكْثَرَ وَأكْثَرَ . وَفي طَريقِهِ إلى المَدْرَسَةِ لَقِيَ بِكي .

قالَ توم : « لَقَدْ تَصَرَّفْتُ بِطَريقَةٍ سَيِّئَةٍ اليَوْمَ فَمَعْذِرَةً . إنّي آسِفٌ ، يا بِكي . لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ثانِيَةً أبَداً .»

نَظَرَت بِكي إلى وَجْهِهِ بِكِبرياءَ ثُمَّ قالَتْ : « أرْجوكَ أنْ تَغْرُبَ عَنْ وَجْهي ، يا سَيِّدُ توماس سوير .» ثُمَّ قالَتْ بِهُدوءٍ : « لَنْ أتَحَدَّثَ مَعَكَ مَرَّةً ثانِيَةً .»

لَمْ يَفُهْ توم بِكَلِمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كانَ غاضِباً غَضَباً شَديداً . وَقابَلَها مَرَّةً أُخرى في المَدْرَسَةِ وَأبْدى مُلاحَظَةً قاسِيَةً ؛ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ بِحِدَّةٍ وَبِنَظْرَةٍ عَنيفَةٍ . كانَتْ غاضِبَةً جِدًّا . وَأوْشَكَ مَوْعِدُ حِصَّةِ التَّهَجّي

فَسُرَّتْ كَثيراً لِوُجودِ الحِبْرِ عَلى إحْدى صَفَحاتِ دَفْتَرِهِ . وَتَوَقَّعَتْ أنْ يَضْرِبَهُ السَّيِّدُ دوبنز ضَرْبًا مُوجِعًا ، لَكِنَّ الإزْعاجَ كانَ في طَريقِهِ إلى الفَتاةِ نَفْسِها ؛ فالسَّيِّدُ دوبنز كانَ يريدُ دائِماً أنْ يُصْبِحَ طَبيباً ، وَكانَ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الطِّبِّ . وَفي أثْناءِ أداءِ التَّلاميذِ لِواجِباتِهِمْ في الفَصْلِ كانَ يَقْرَأُ كِتاباً أحْيانًا . وَلَمْ يَعْرِفْ أحَدٌ اسْمَ هذا الكِتابِ وَلكِنْ أرادَ كُلُّ واحِدٍ أنْ يَعرِفَهُ . وَكانَ دائِماً يَضَعُهُ في مَكْتَبِهِ ، وَيُغْلِقُ عَلَيْهِ . لِذَلِكَ لَمْ يَعرِفْ أحَدٌ اسْمَ الكِتابِ .

لكِنْ عِنْدَما كانَتْ بِكي تَمُرُّ بِمَكْتَبِ النّاظِرِ لاحَظَتْ شَيْئًا : كانَ المِفْتاحُ في المَكْتَبِ ، وَكانَتْ لَحْظَةً مُذْهِلَةً ! تَلَفَّتَتْ حَوْلَها ، وَكانَتْ وَحْدَها . وَبِشَجاعَةٍ فَتَحَتْ دُرْجَ المَكْتَبِ ، وأخْرَجَتِ الكِتابَ ، وَقَرَأَتْ عُنْوانَهُ « الطِّبُّ الحَديثُ » تأليفُ أحَدِ الأطباء . وَبَدَأَتْ تَقْرَأ ، لكِنَّ ظِلًّا سَقَطَ عَلى الصَّفَحاتِ . وَعِنْدَما نَظَرَتْ رَأَتْ توم سوير ، فَأغْلَقَتِ الكِتابَ بِسُرْعَةٍ ، لكِنَّها كانَتْ قَدْ مَزَّقَتْ نِصْفَهُ مِنَ الوَسَطِ . وَكانَ ذَلِكَ حَقيقَةً شَيْئًا فَظيعاً . لَقَدْ مَزَّقَتْ كِتابَ النّاظِرِ السِّرِّيَّ ! ثُمَّ وَضَعَتِ الكِتابَ في المَكْتَبِ وأدارَتِ المِفْتاحَ . وَبَدَأَتْ تَبْكي مِنَ الخَجَلِ الَّذي لَحِقَ بِها .

صاحَتْ بِكي : « توم سوير ، إني أكْرَهُكَ . إنَّكَ ستقولُ لِلسَّيِّدِ دوبنز ؛ أ لَيسَ كَذَلِكَ ؟ ماذا أفْعَلُ الآنَ؟ ماذا أفْعَلُ ؟ إنَّهُ لَمْ

يُعاقِبْني مُطْلَقًا وَالآنَ سَيَفْعَلُ !» كانَتْ غاضِبَةً جِدًّا . ثُمَّ قالَتْ : « وَلكِنِّي أَعْرِفُ شَيْئًا أَيْضًا ! انْتَظِرْ هُنا قَليلاً ! سَتَرى ! إِنِّي أَكْرَهُكَ . أَكْرَهُكَ .»

انْدَفَعَتْ بِكي خارِجَةً ، وَكانَتْ لا تَزالُ تَبْكي بِغَضَبٍ ، وَلَمْ يَفْهَمْ توم السَّبَبَ ، وَقالَ مُتَعَجِّبًا : « ماذا دَهاها ؟ لِماذا هِيَ خائِفَةٌ ؟ لَنْ أُفْشِيَ الأَمْرَ لِدوبنز العَجوز . لكِنَّهُ سَيَكْتَشِفُ الأَمْرَ بِسُهولَةٍ . إِنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ ، وَ وُجوهُ البَناتِ تَكْشِفُ دائِمًا عَنِ الحَقيقَةِ . لكِنْ لا يُهِمُّني الأَمْرُ .»

غَيْرَ أَنَّهُ انْزَعَجَ في الفَصْلِ عِنْدَما رَأى وَجْهَ بِكي القَلِقَ المُضْطَرِبَ . وَبَدأَ الدَّرْسُ عِنْدَما دَخَلَ السَّيِّدُ دوبنز . وَفي الحالِ أَخْرَجَ التَّلاميذُ دَفاتِرَهُمْ . وَلاحَظَ النّاظِرُ في الحالِ الحِبْرَ عَلى دَفْتَرِ توم ، وَأَبْدَتْ بِكي الكَثيرَ مِنَ الاهْتِمامِ بِهذا المَوْقِفِ الجَديدِ .

وَقالَ توم إِنَّهُ لَمْ يَسْكُبِ الحِبْرَ عَلى دَفْتَرِهِ . لكِنَّ السَّيِّدَ دوبنز لَمْ يُصَدِّقْهُ ، ثُمَّ عاقَبَهُ بِالضَّرْبِ . وَراقَبَتْ بِكي الضَّرْبَ ، لكِنَّها لَمْ تَكُنْ سَعيدَةً حَقيقَةً . وَأَرادَتْ أَنْ تُخْبِرَ توم بِما فَعَلَه أَلفريد بِدَفْتَرِهِ ، لكِنَّها ظَلَّتْ صامِتَةً . وَفَكَّرَتْ : « سَيَقولُ توم إِنَّني مَزَّقْتُ كِتابَ النّاظِرِ . لَنْ أَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً عَنِ الحِبْرِ .»

وَمَرَّتْ ساعَةٌ وَكانَ النّاظِرُ يَشْعُرُ بِالنُّعاسِ ، وَلكِنَّهُ فَتَحَ دُرْجَ مَكْتَبِهِ ، وَأَخْرَجَ الكِتابَ وَبَدَأَ يَقْرَأُ . وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ تِلْميذَيْنِ كانا يُراقِبانِهِ بِاهْتِمامٍ .

كانَ الحُزْنُ مُرْتَسِمًا بِوُضوحٍ عَلى وَجْهِ بِكي لأَنَّ توم نَسِيَ شِجارَهُ مَعَها . فَما الَّذي يَسْتَطيعُ عَمَلَهُ لِيُساعِدَها ؟ أَراد أَنْ يُسْرِعَ نَحْوَ النّاظِرِ وَيَخْطَفَ الكِتابَ مِنْهُ ، وَلكِنَّ الوَقْتَ كانَ قَدْ تَأَخَّرَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ . كانَ الكِتابُ مَفْتوحًا ، وَالنّاظِرُ يَنْظُرُ بِغَضَبٍ إِلى التَّلاميذِ .

تَساءَلَ النّاظِرُ بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ : « مَنِ الَّذي مَزَّقَ هَذا الكِتابَ ؟»

رانَ الصَّمْتُ وَلَمْ يَصْدُرْ أَيُّ صَوْتٍ في الغُرْفَةِ . نَظَرَ النّاظِرُ في كُلِّ وَجْهٍ ، ثُمَّ صَرَخَ : « بنيامين روجرز ، هَلْ مَزَّقْتَ هَذا الكِتابَ ؟»

« لا ، ياسَيِّدي .»

« جوزيف هارپر ، هَلْ مَزَّقْتَهُ ؟»

رَدَّ جو : « لا ، يا سَيِّدي .»

لَمْ يُعجِبْ ذَلِكَ توم . وَاستدارَ النّاظِرُ ناحِيَةَ البَناتِ وَصاحَ :

« آمي لورانس ، هَلْ مَزَّقْتِ الكِتابَ ؟ »

« لا ، يا سَيِّدي . »

« جريسي ميللر ، هَلْ مَزَّقْتِهِ ؟ »

« لا ، يا سَيِّدي . »

« بِكي ثاتشر ، هَلْ مَزَّقْتِ .. لا انْظرِي في وَجْهي .. هَلْ مَزَّقْتِ الكِتابَ ؟ » وَنَظَرَ توم إلى وَجْهِها ، وَكانَ مُمْتقِعاً مِنَ الخَوْفِ . وَخَطَرَتْ بِرأسِ توم فِكْرَةٌ ، فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ وَصَرَخَ : « أنا الَّذي مَزَّقْتُهُ . »

دَهِشَ تَلاميذُ وَتِلْميذاتُ المَدْرسَةِ ، وَ وَقَفَ توم بُرْهَةً ثُمَّ تَقَدَّمَ إلى الأمامِ . وَلاحَظَ عَيْنَي بِكي وَأَحَبَّها . رَأى أَنَّها سَعيدَةٌ ، وَرَأى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . اسْتَطاعَ أنْ يَرى أَنَّها تُحِبُّهُ . وَضَرَبَ النَّاظِرُ توم ضَرْباً مُوجِعاً ، وَأَمَرَهُ ألا يَذْهَبَ إلى مَنْزِله بَعْدَ المَدْرَسَة . وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يَمْكُثَ بِالمَدْرَسَةِ لِمُدَّةِ ساعَتَيْن إضافِيَّتَيْن . وَلكِنَّ توم لَمْ يَهْتَمَّ بِالأمْرِ كثيراً .

فَكَّرَ توم : « إنَّها سَوْفَ تَنتَظِرُني . مِنَ المُؤكَّدِ أَنَّها سَتَنْتَظِرُني . »

وَبَعْدَ السَّاعَتَيْنِ كانَتْ بِكي هُناكَ في انْتِظارِهِ . وَقالَتْ لِتوم كُلَّ

شَيْءٍ عَنْ ألفريد ، ثُمَّ قالَتْ : « توم ، إنَّكَ مُدْهِشٌ ! كَيْفَ أَصْبَحْتَ نَبيلاً عَلى هذا النَّحْوِ ؟ »

الفصل السابع عشر

نِهايَةُ الفَصْلِ الدِّراسِيِّ

عِنْدَما أَصْبَحَ الفَصْلُ الدِّراسِيُّ قَريبًا مِنْ نِهايَتِهِ ، جَعَلَ السَّيِّدُ دوبنز التَّلاميذَ يَعْمَلونَ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ . وَكانَ يَضْرِبُهُمْ إذا لَمْ يَعْمَلوا بِجِدٍّ كافٍ . وَأَغْضَبَ ذَلِكَ الأَوْلادَ ، وَقَرَّروا أَنْ يَطْلوا رَأْسَ النّاظِرِ بِالطِّلاءِ . وَكانَ السَّيِّدُ دوبنز قَدْ فَقَدَ شَعْرَ رَأْسِهِ جَميعَهُ ، لَكِنَّهُ كانَ يُغَطّي رَأْسَهُ بِشَعْرٍ مُسْتعارٍ . وَكانَ قَدْ أَجَّرَ غُرْفَةً في بَيْتِ رَسّامٍ حَيْثُ عاشَ فيها مَعَ زَوْجَتِهِ ، لَكِنَّها سافَرَتْ لِوَقْتٍ قَصيرٍ وَتَرَكَتْهُ وَحيدًا .

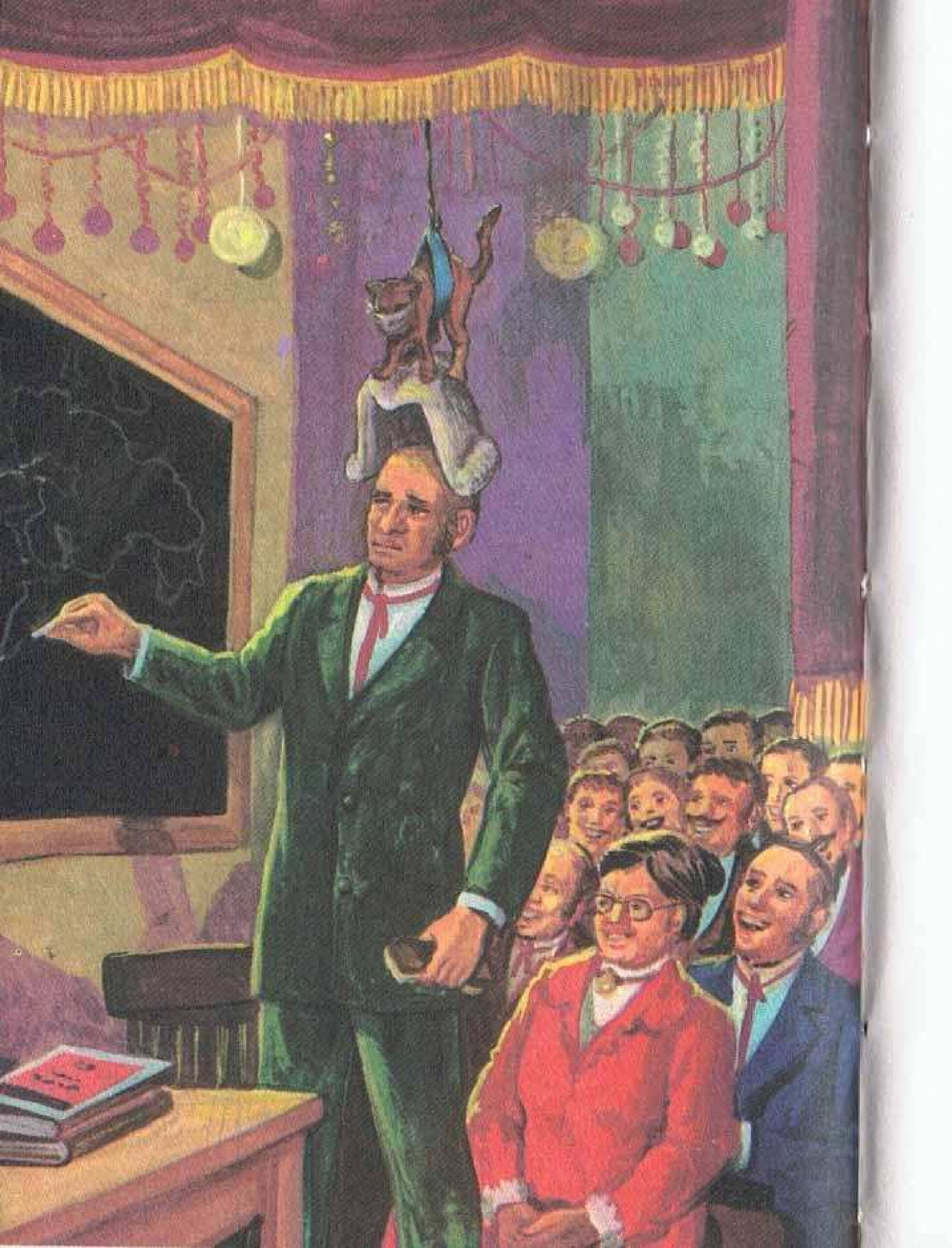
وَناقَشَ التَّلاميذُ الأَمْرَ مَعَ ابْنِ الرَّسّامِ ، فَوافَقَ عَلى أَنْ يَطْلِيَ رَأْسَ السَّيِّدِ دوبنز . وَكانَ السَّيِّد دوبنز يَنامُ أَحيانًا في مَقْعَدِهِ ، وَيُمْكِنُ لابنِ الرَّسّامِ أَنْ يُنْجِزَ لَهُمُ العَمَلَ الَّذي اتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، فَوافَقَ أَنْ يُتِمَّ العَمَلَ قَبْلَ نِهايَةِ الفَصْلِ الدِّراسِيِّ . وَفي اليَوْمِ الأَخيرِ مِنْهُ يُمْكِنُ لِلأَوْلادِ أَنْ يَنْعَمُوا بِالضَّحِكِ كَثيرًا

وَجاءَتِ الأُمْسِيَّةُ العَظيمَةُ . وَفي الثّامِنَةِ كانَ النّاظِرُ جالِسًا في مَقْعَدِهِ الكَبيرِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ السَّبّورَةُ . وَكانَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ في الحُجْرَةِ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَوْلِياءُ أُمورِ الطَّلَبَةِ وَآباؤُهُمْ وَأُمَّهاتُهُمْ، لَكِنَّ بَعْضَ النّاسِ المُهِمّينَ كانوا هُناكَ أَيْضًا . وَكانَ التَّلاميذُ جَميعًا قَدِ ارْتَدَوْا مَلابِسَ نَظيفَةً ، لَكِنَّها لَمْ تَبْدُ مُريحَةً ، عَلى حينَ جَلَسَتِ البَناتُ وَالسَّيِّداتُ الشّابّاتُ وَقَدِ ارْتَدَيْنَ مَلابِسَ جَميلَةً فاخِرَةً .

وَقَفَ وَلَدٌ صَغيرٌ جِدًّا ، وَسارَ إِلى المَسْرَحِ . وَاسْتَدارَ لِيَنْظُرَ لِلنّاسِ وَشَرَعَ يَقولُ : « لَسْتُ مُتَقَدِّمًا في السِّنِّ ، وَلَكِنَّني سَأُدْهِشُكُمْ عَلى خَشَبَةِ المَسْرَحِ .»

وَراحَ يَحْكي قِصَّتَهُ كَأَنَّهُ آلَةٌ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلى النِّهايَةِ جَلَسَ وَهُوَ في غايَةِ السُّرورِ . ثُمَّ وَقَفَتْ بِنْتٌ صَغيرَةٌ وَحَكَتْ قِصَّةً أُخْرى ، وَصَفَّقَ الحاضِرونَ ، وَابْتَسَمَتْ لَهُمْ . وَكانَتْ غايَةً في السَّعادَةِ عِنْدَما عادَتْ إِلى مَكانِها وَجَلَسَتْ عَلى مَقْعَدِها .

بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ توم سوير مِنْ مَكانِهِ لِيَقومَ بِواجِبِهِ . قالَ لِلنّاسِ حَقيقَةً هامَّةً ، وَكانَتْ هَذِهِ الحَقيقَةُ هِيَ أَنْ يَكونَ حُرًّا أَوْ يَموتَ . وَبَدا أَنَّهُ غاضِبٌ بِسَبَبِ تِلْكَ الحَقيقَةِ ، وَلَوَّحَ بِذِراعَيْهِ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفَ فَجْأَةً . وَسَقَطَتِ الذِّراعانِ الغاضِبَتانِ عَلى جانِبَيْهِ ، وَارْتَعَشَتْ رُكْبَتاهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّنَفُّسَ كَما يَنْبَغي ، ثُمَّ وَقَفَ



بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ . وَبَدَتْ لَهُ الغُرْفَةُ وَكَأَنَّها تدورُ بِهِ وَتدورُ . وَرانَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ على القاعَةِ ، وَبَدا الغَضَبُ على وَجْهِ النّاظِرِ ، وَتَمَنّى توم بِصَمْتٍ أَنْ يَتَحَرَّرَ أَوْ يَموتَ ، وَجَلَسَ . لَقَدْ فَشِلَ .

وَبَعْدَهُ وَقَفَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الأَوْلادِ لِيَقْرَءُوا أَوْ لِيَتَكَلَّموا . وَقامَتِ البناتُ أَيْضاً بِأَداءِ أَدْوارِهِنَّ . تَكَلَّمَ بَعْضُهُنَّ بِطَريقَةٍ جَيِّدَةٍ ، لكِنَّ أَجْزاءً كَثيرَةً مِنَ الشِّعْرِ كانَتْ طَويلَةً . وَظَهَرَتْ سَيِّدَةٌ بِعَيْنَيْنِ سَوْداوَيْنِ ، وَقَرَأَتْ مَوْضوعاً طَويلاً بِالإِنْجليزِيَّةِ عَنْ فَتاةٍ جَميلَةٍ في عَشْرِ صَفَحاتٍ كامِلَةٍ ، وَلكِنَّ أَحَداً لَمْ يَهْتَمَّ بِما كانَتْ تَقْرَؤُهُ .

بَعْدَ ذلِكَ نَهَضَ السَّيِّدُ دوبنز بِنَفْسِهِ ، وَكانَ يَبْتَسِمُ لأَنَّ تَلاميذَهُ أَجادوا وَأَرْضَوْهُ . وَذَهَبَ إلى السَّبّورَةِ ، وَبَدَأَ يَرْسُمُ خَريطَةً لأَمريكا ، لكِنَّ يَدَهُ كانَتْ تَرْتَعِشُ ، وَبَدَأَ النّاسُ يَضْحَكونَ لأَنَّ الخُطوطَ الَّتي رَسَمَها لَمْ تَكُنْ صَحيحَةً أَوْ دَقيقَةً . وَظَهَرَتِ الخُطوطُ الَّتي أَحْدَثَها الطَّباشيرُ فَوْقَ السَّبّورَةِ غَيْرَ واضِحَةٍ تَماماً . وَمَحا السَّيِّدُ دوبنز بَعْضَ هذِهِ الخُطوطِ مِنَ السَّبّورة . وَحاوَلَ مَرَّةً أُخْرى وَلكِن ازْدادَ الأَمْرُ سُوءاً ، وَأَصْبَحَتِ الخَريطَةُ في حالَةٍ يُرْثى لها، لكِنَّهُ كانَ مُصَمِّماً وَعَمِلَ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ . وَتَرَكَّزَتْ جَميعُ العُيونِ عَلَيْهِ ، وَكانَ لا يَزالُ كُلُّ شَخْصٍ في القاعَةِ يَضِجُّ بِالضَّحِكِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ قِطَّةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ ، وَأَخَذَتْ تَهْبِطُ إلى الأَرْضِ بِبُطْءٍ

وَهِيَ مَرْبوطَةٌ في طَرَفِ خَيْطٍ . وَكانَ هَذا الهُجومُ قَدْ دَبَّرَهُ صَبِيٌّ في الغُرْفَةِ ؛ فَقَدْ رَبطَ قِطْعَةَ قُماشٍ حَوْلَ فَمِ القِطَّةِ حتَّى لا تَموءَ أوْ تُصْدِرَ صَوْتاً .

وَامْتَلأَتِ الغُرفَةُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالأَصْواتِ . وَكانَ الجَميعُ يَضْحَكونَ بِصَوْتٍ عالٍ . وَهَبَطَتِ القِطَّةُ بِبُطْءٍ فَوْقَ رَأْسِ النّاظِرِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَها ؛ فَقَدْ كانَ مَشْغولاً بِالخَريطَةِ . وَأَصْبَحتِ القِطَّةُ قَريبَةً مِنْ شَعْرِهِ المُسْتَعارِ . وَكانَتِ غاضِبَةً جِدًّا لِضيقِها مِنْ وَضْعِها هَذا الغَريبِ . وَأَخيراً وَصَلَتِ القِطَّةُ إلى الشَّعْرِ المُسْتَعارِ وَجَذَبَتْهُ مِنْ فَوْقَ رَأسِ النّاظِرِ .

تَصَرَّفَ الصَّبِيُّ في الغُرْفَةِ التي تَعْلو غُرْفَةَ الاحْتِفالِ عَلى الفَوْرِ ، فَجَذَبَ القِطَّةَ إلى أَعْلى مَرَّةً أُخْرَى بِسُرْعَةٍ . لَكِنْ كانَ كُلُّ إِنْسانٍ يَنْظُرُ وَيُحملِقُ في رَأسِ النّاظِرِ وَلَمْ يَهْتَمَّ أَحَدٌ بِالقِطَّةِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَكانتِ الرَّأْسُ تَلْمَعُ تَحْتَ الضَّوْءِ ، لَكِنَّ لَوْنَها لَمْ يَكُنْ مَأْلوفاً . فَقَدْ دَهَنَها ابنُ الرَّسّامِ ، وَكانَ لَوْنُها بِلَوْنِ الذَّهَبِ .

وَبِهَذا انْتَهى الفَصْلُ الدِّراسِيُّ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ ، وَبَدأَت الإجازَةُ .

الفصل الثامن عشر

مُحاكَمة ماف بوتَر

مَرَّتِ الأيّامُ بِبُطْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِتوم سوير . وَكانَتْ بكي ثاتشر قَدْ سافَرَتْ مَعَ والِدَيْها لِقَضاءِ إجازَةٍ في مَدينَةِ قُنِسْطَنْطينوبل ، إحْدى مُدُنِ أَمْريكا ، وَلَمْ يَعُدْ توم يَراها .

وَلَم يَنْسَ توم جَريمَةَ قَتْلِ الطَّبيبِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هَذا الأَمْرُ قَلِقاً . ثُمَّ كانَ عَلَيْهِ أنْ يَمكُثَ في الفِراشِ لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ . وَفيما بَعْدُ مَرِضَ مَرَّةً أُخْرى وَفي هَذِهِ المَرَّةِ مَكَثَ في الفِراشِ ثَلاثَةَ أسابيعَ . وَكانَتْ حَياةُ توم في ذَلِكَ الوَقْتِ غَيْرَ سَعيدَةٍ .

مَرَّ عَلى وُجودِ ماف بوتَر في السِّجْنِ وَقْتٌ طَويلٌ . وَكانَ مَوْعِدُ مُحاكَمَتِهِ قَدِ اقْتَرَبَ ، وَلَمْ يَنْسَ توم السِّرَّ الرَّهيبَ . وَارْتَعَشَ عِنْدَما سَمِعَ النّاسَ يَتَحَدَّثونَ عَنْ جَريمَةِ القَتْلِ ، فَقَدْ كانوا يَظُنّونَ أنَّ ماف بوتَر كانَ مُذْنِباً . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَعَلَّ الجَميعَ سَيَظُنّونَ نَفْسَ الظَّنِّ

في المُحاكَمَةِ !»

وَقَرَّرَ توم أنْ يَتَناقَشَ بِشأنِ هَذِهِ الجَريمَةِ مَعَ هاكِلْبِري ، فَذَهَبَ مَعَهُ إلى مَكانٍ مُنْعَزِلٍ وَسَأَلَهُ : « هَلْ سَبَقَ أنْ قُلْتَ لأيِّ شَخْصٍ عَنْ الجَريمَةِ ، يا هاك ؟»

أجابَ : « بِالطَّبْعِ لَمْ أفْعَلْ .»

« وَلا كَلِمَةً واحِدَةً؟»

« وَلا كَلِمَةً .. لِماذا تَسْأَلُ ؟»

قالَ توم : « لأنَّني خائِفٌ .»

قالَ هاكِلْبِري : « إذا اكْتَشَفَ رد جو الأمْرَ فَسَيَقْتُلُكَ ، يا توم سويَر ، وَأنْتَ تَعْرِفُ أنَّ رد جو سَيَقْتُلُكَ . وَعِنْدَما تَكونُ مَيِّتًا فإنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ الكَلامَ .»

قالَ توم : « نَحْنُ في مَأمَنٍ إذا لَمْ نَقُلْ شَيْئًا . هَلْ نَتَعاهَدُ مَرَّةً أُخْرى ؟»

وَتَعاهَدَ الاثْنانِ ألا يَقولا شَيْئًا ، وَاسْتَخْدَما كَلِماتٍ مُخيفَةً ثُمَّ أصْبَحا أكْثَرَ سَعادَةً بَعْدَ ذَلِكَ .

قالَ توم : « إنَّ كُلَّ شَخْصٍ هُنا يَظُنُّ أنَّ ماف هُوَ الَّذي قَتَلَ الطَّبيبَ .»

« نَعَمْ ، إنَّهُ ماف بوتر دائِماً . إنَّهم جَميعاً يَتَكَلَّمونَ عَنْ ماف . وَأنا أكْرَهُ هَذا الأمْرَ . أحْيانًا أُريدُ أنْ أهْرُبَ بَعيداً وَأخْتَفي .»

سَأَلَهُ توم : « أ لا تَشْعُرُ بِالأسَفِ أحْيانًا مِنْ أجْلِ ماف ؟»

أجابَ هاكِلْبِري : « أشْعُرُ بِالأسَفِ دائِماً ، فَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ أيَّ شَيْءٍ لِيَضُرَّ أيَّ شَخْصٍ . إنَّهُ يَصْطادُ السَّمَكَ لِلْحُصولِ عَلى المالِ . إنَّهُ يَبيعُ السَّمَكَ ثُمَّ يَشْتَرِي بِثَمَنِهِ ما يَحْتاجُهُ . أعْطاني مَرَّةً نِصْفَ سَمَكَةٍ .»

قالَ توم : « أ لا يُمْكِنُنا إخْراجُهُ مِنَ السِّجْنِ ، يا هاك ؟»

« لا نَسْتَطيعُ ، يا توم . وَإذا فَعَلْنا فَسَوْفَ يَقْبِضونَ عَلَيْهِ مَرَّةً أخْرى .»

اسْتَمَرَّ الوَلَدانِ يَتَحادَثانِ لِبَعْضِ الوَقْتِ ، لَكِنَّهُما لَمْ يَجِدا راحَةً، فَذَهَبا إلى السِّجْنِ وَتَكَلَّما مَعَ ماف مِنْ خِلالِ النَّافِذَةِ . وَأثْنى ماف عَلى الوَلَدَيْنِ وَشَكَرَهُما قائِلاً : « إنَّكُما نِعْمَ الصَّديقانِ لي ، وَأنْتُما عَزاءٌ وَراحَةٌ لي في مِحْنَتي .»

وَعادَ توم إلى بَيْتِهِ . وَكانَتْ أحْلامُهُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَليئَةً بِأشْياءَ مُرْعِبَةٍ . وَفي اليَوْمِ التَّالي ذَهَبَ إلى المَحْكَمَةِ ، وَانْتَظَرَ بِالقُرْبِ مِنْها. وَكانَتْ مُحاكَمَةُ بوتر قَدْ بَدَأتْ داخِلَ المَحْكَمَةِ . كَما كانَ قَريبًا

مِنَ المَحْكَمَةِ أَيْضاً في اليَوْمِ التّالي . وَكانَ هاكِلْبِري هُناكَ هُوَ الآخَرُ ، وَلٰكِنَّ الاثْنَيْنِ لَمْ يَلْتَقِيا . وَعِنْدَما رأى أَحَدُهما الآخَرَ تَحاشى مُقابَلَتَهُ . وَفي نِهايَةِ اليَوْمِ الثّاني ، صَدَّقَ جَميعُ النّاسِ رد جو ، فَقَدْ كانَ يَقولُ دائِماً نَفْسَ الشَّيْءِ ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ كَلِماتُهُ مُطْلَقاً . قال إنَّ بوتر قَتَلَ الطَّبيبَ .

وَعادَ توم إلى بَيْتِهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُتَأخِّراً جِدًّا ، فَأَحْداثُ المَساءِ أثارَتْهُ ، وَلَمْ يَنَمْ لِعِدَّةِ ساعاتٍ . وَفي اليَوْمِ التّالي كانَتِ المَحْكَمَةُ مُزْدَحِمَةً بِالنّاسِ ؛ فَقَدْ كان يَوْمَ الأَحْداثِ الهامَّةِ . وَعِنْدَما جاءوا بماف بوتر إلى داخِلِ المَحْكَمَةِ ، كانَ وَجْهُهُ شاحِباً وَتَكْسوهُ عَلاماتُ اليَأْسِ . وَكانَ هُناكَ رد جو ، الَّذي اعْتادَ أَنْ يَحْضُرَ المُحاكَمَةَ مِنْ قَبْلُ .

قالَ أَحَدُ الرِّجالِ : « رأَيْتُ بوتر وَهُوَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ في الغَديرِ ، وَكانَ ذلِكَ في يَوْمِ ارْتِكابِ جَريمَةِ القَتْلِ ، وَعِنْدَما انْتَهى غادَرَ المَكانَ سِرًّا .» وَأَدْلى رَجُلٌ آخَرُ بِمَعْلوماتٍ عَنْ سِكّينِ بوتر فقالَ : « إنَّها كانَتْ بِجِوارِ الجُثَّةِ في المَدافِنِ .» وَلَمْ يُدافِعْ أَحَدٌ عَنْ ماف بوتر . كانَ كُلُّ شَيْءٍ ضِدَّهُ . وَبَدَتِ القَضِيَّةُ واضِحَةً ، لٰكِنْ فَجْأَةً صاح صَوْتٌ : « نادوا عَلى توماس سوير .» وَدَهِشَ كُلُّ شَخْصٍ في المَحْكَمَةِ عِنْدَ سَماعِهِ اسْمَ توماس سوير ، حَتّى بوتر نَفْسُهُ أَخَذَتْهُ

الدَّهْشَةُ . وَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ أَنْ يَرى توم سوير هُناكَ . وَبَدَأَ النّاسُ يَتَساءَلونَ : « ما الَّذي يَعْرِفُه عَنْ جَريمَةِ القَتْلِ ؟»

وَقَفَ توم في مَكانِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ كُلُّ شَخْصٍ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ . سَمِعَ صَوْتاً يَسْأَلُهُ سُؤالاً ، وَحاوَلَ أَنْ يُفَكِّرَ بُوضوحٍ : « توماس سوير ، أَيْنَ كُنْتَ في لَيْلَةِ السّابِعَ عَشَرَ مِنْ يونيه ؟»

رأى توم وَجْهَ رد جو في المَحْكَمَةِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الكَلامَ . وَانْتَظَرَ كُلُّ واحِدٍ في المَحْكَمَةِ بِصَمْتٍ ، وَلٰكِنْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ فَمِ توم أَيَّةُ كَلِماتٍ . وَفَجْأَةً شَعَرَ أَنَّ بِإمكانِهِ الكَلامَ فَقالَ بِهُدوءٍ : « كُنْتُ في المَدافِنِ .»

« اِرْفَعْ صَوْتَكَ مِنْ فَضْلِكَ وَلا تَخَفْ ، يا فَتى .»

أَعادَ توم ما قالَهُ : « كُنْتُ في المَدافِنِ .»

وَعَبَرَتِ ابْتِسامَةٌ بِوَجْهِ رد جو .

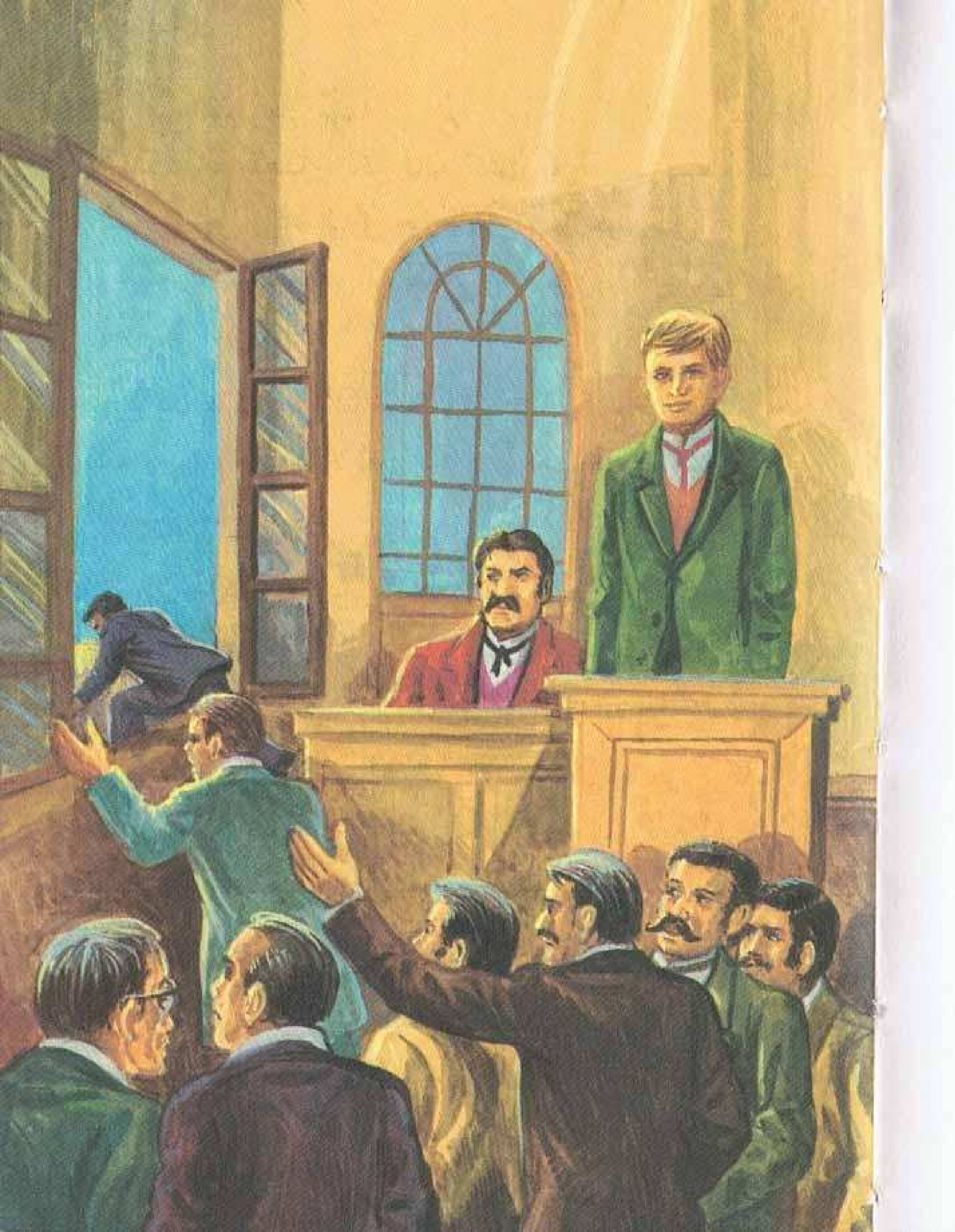
« هَلْ كُنْتَ بِالقُرْبِ مِنْ قَبْرِ هورس ويليامز ؟»

قالَ توم : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي .»

« إلى أَيَّةِ مسافَةٍ كُنْتَ قريباً مِنَ القَبْرِ ، يا سوير ؟»

« تماماً كما أنا قَريبٌ مِنْكَ الآنَ .»

« هَلْ كُنْتَ مُخْتَفِياً أَمْ لا ؟»



رَدَّ توم : « كُنْتُ مُخْتَفِياً .»

« أَيْنَ ؟»

قالَ توم : « خَلْفَ الأشْجارِ بِالقُرْبِ مِنَ القَبْرِ .»

كانَ توم يَتَكَلَّمُ بِوُضوحٍ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ ، وَكانَ رد جو يَنْظُرُ بِدَهْشَةٍ وَقَلَقٍ .

وَاسْتَمَرَّتِ الأَسْئِلَةُ : « هَلْ كانَ مَعَكَ أَيُّ شَخْصٍ فِي المَدافِنِ ؟»

« نَعَمْ ، يا سَيِّدي . ذَهَبْتُ مَعَ ...»

« انْتَظِرْ لَحْظَةً ! لا تَذْكُرْ اسْمَ صَدِيقِكَ . ما الَّذي رَأَيْتَهُ في المَدافِنِ ؟ قُلْ لَنا ذَلِكَ فَقَطْ .»

بَدَأَ توم الكَلامَ بِبُطْءٍ ، لَكِنْ سُرْعانَ ما راحَ يَتَكَلَّمُ بِطَلاقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ أَيُّ صَوْتٍ آخَرَ . وَحَكَى توم قِصَّته جَيِّداً ، حَتَّى وَصَلَ إِلى نِهايَتِها وَقالَ : « ضَرَبَ الطَّبيبُ السَّيِّدُ بوتر بِلَوْحٍ خَشَبِيٍّ فَسَقَطَ بوتر عَلى الأَرْضِ ، وَقَفَزَ رد جو بالسِّكِّينِ ، ثُمَّ غَرَسَ السِّكِّينَ ...»

لَكِنَّ رد جو لَمْ يَنْتَظِرْ لِيَسْمَعَ نِهايَةَ القِصَّةِ ، بَلْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ ، وَجَرى نَحْوَ النَّافِذَةِ المَفْتوحَةِ . وَأَوْقَعَ كُلَّ شَخْصٍ كانَ في طَريقِهِ ، وَقَفَزَ مِنَ النَّافِذَةِ ، واخْتَفى عَلى إِثْرِ ذَلِكَ .

أصْبَحَ توم رَجُلاً مُهِما مَرَّةً أخْرى ، وَتَكَلَّمَ كُلُّ واحِدٍ عَنْهُ . وَكانَتْ أيَّامُهُ مُدْهِشَةً ، لَكِنَّ لَيالِيَهُ كانَتْ مُفْزِعَةً . لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَنْسى رد جو . كانَ الرَّجُلُ حُرًّا طَليقاً . رُبَّما يَكونُ مُنْتَظِراً توم . وَيُمْكِنُهُ أنْ يَقْتُلَ توم في أيَّةِ لَيْلَةٍ في الظَّلامِ . وَلَمْ يَشأ توم أنْ يَخْرُجَ في اللَّيْلِ .

وَكان هاكِلْبِري خائِفاً هُوَ الآخَرُ بِسَبَبِ دَوْرِ توم في القَضِيَّةِ . لَقَدْ وَعَدَ توم مِنْ قَبْلُ ألا يَقولَ شَيْئاً ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى المَحْكَمَةِ وَقالَ لِلْجَميعِ عَمَّا حَدَثَ

وَقالَ هاكِلْبِري لِنَفْسِهِ : « رُبَّما قالَ لِشَخْصٍ عَنِّي أنا أيْضاً ! كَيْفَ لي أنْ أعْرِفَ ؟»

وَشَكَرَ ماف بوتر الصَّبِيَّ توم لِمُساعَدَتِهِ . وَأصْبَحَ ماف حُرًّا ؛ إذْ أطْلِقَ سَراحُهُ في الحالِ . وَلَكِنْ لَمْ يَعْثُرْ أحَدٌ عَلى رد جو . وَكانَ المَأمورُ يَبْحَثُ باسْتِمْرارٍ عَنْهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَهُ أيُّ إنْسانٍ ؛ فأينَ ذَهَبَ؟ وَمَرَّتِ الأيَّامُ ، وَلَكِنَّ رد جو لَمْ يَعُدْ . وَبَدَأ توم يَفْقِدُ خَوْفَهُ ، وَفارَقَتْ وَجْهَهُ نَظْرَةُ الخَوْفِ وَالذُّعْرِ.

الفصل التاسع عشر

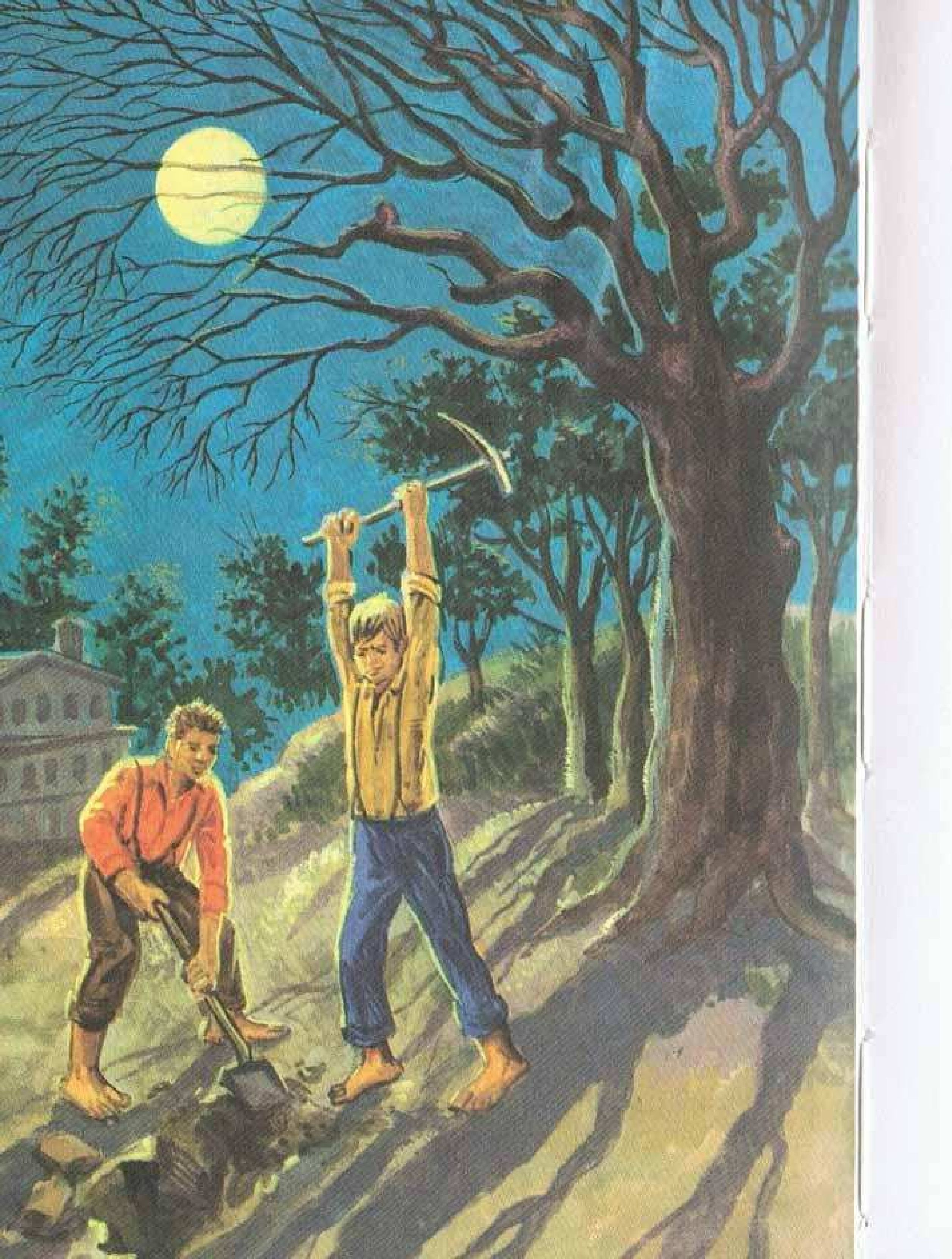
تَحْتَ الشَّجَرَةِ المَيِّتَة

العُثورُ عَلى كَنْزٍ في الأرْضِ هُوَ حُلْمُ كُلِّ فَتًى . وَكانَ ذَلِكَ واحِداً مِنْ أحْلامِ توم أيْضاً . وَذاتَ يَوْمٍ قالَ لِهاكِلْبِري إنَّهُ يُريدُ أنْ يَحْفِرَ الأرْضَ بَحْثاً عَنْ كَنْزٍ ، وَ وافَقَهُ هاكِلْبِري قائِلاً : « إنَّها فِكْرَةٌ رائِعَةٌ ، فَأيْنَ سَنَحْفِرُ الأرْضَ ؟»

أجابَهُ توم : « يُمْكِنُنا أنْ نَحْفِرَ في أيِّ مَكانٍ .»

« هَلْ يُخْفي النَّاسُ كُنوزَهُمْ في أيِّ مَكانٍ ؟»

« لا ، إنَّهُمْ يُخَبِّئونَها في أماكِنَ خاصَّةٍ ؛ فَالقَراصِنَةُ يُخَبِّئونَ كُنوزَهُمْ في الجُزُرِ . وَيُخْفيها بَعْضُ الرِّجالِ في صَناديقَ تَحْتَ الأرْضِ . وَآخرونَ يُخْفونَها تَحْتَ أشْجارٍ مُعَيَّنَةٍ وَيُراقِبونَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ . وَفي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ يُغَطِّي الظِّلُّ مَكاناً واحِداً بِعَيْنِهِ . وَيُخَبِّئونَ ذَهَبَهُمْ



في مَنازلَ قَديمَةٍ . وَهُناكَ أعْدادٌ كَبيرَةٌ مِنَ الأشْباحِ في بعْضِ البُيوتِ العَتيقَةِ ، فَهَذِهِ أحْسَنُ الأماكِنِ لإخْفاءِ الكَنْزِ .»

تَساءَلَ هاكِلْبِري : « وَمَنْ يُخْفي ذَهَباً مِثْلَ ذَلِكَ الذَّهَبِ الَّذي ذَكَرْتَهُ ؟»

« اللُّصوصُ وَالقَراصِنَةُ ؛ فَهُمْ يُخْفونَ الذَّهَبَ مُعْتَقِدينَ أنَّهُمْ سَيَعودونَ لأخْذِهِ . لَكِنَّهُمْ يَذْهَبونَ إلى السُّجونِ أوْ يَموتونَ ؛ لِذَلِكَ لا يَعودونَ فَيَظَلُّ الكَنْزُ هُناكَ . أمّا الأشْخاصُ الأذْكِياءُ فَيُمْكِنُهُمْ أنْ يَعْثُروا عَلَيْهِ إذا بَحَثُوا بِطَريقَةٍ سَليمَةٍ .»

سَألَهُ هاكِلْبِري : « كَيْفَ تَجِدُ المَكانَ الصَّحيحَ ؟»

أجابَ توم : « يُمْكِنُنا أنْ نَبْحَثَ في جَميعِ الأماكِنِ . يُمْكِنُنا أنْ نَبْحَثَ في البُيوتِ القَديمَةِ وَتَحْتَ شَجَرَةٍ كَبيرَةٍ .»

« إذاً ، يا توم ، فَسَوْفَ نَبْحَثُ طَوالَ الصَّيْفِ .»

« يُمْكِنُنا أنْ نُجَرِّبَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ القَديمَةَ المَيِّتَةَ . هَلْ نَذْهَبُ إلَيْها ؟»

قالَ هاكِلْبِري : « نَعَمْ ، سَنَفْعَلُ ذَلِكَ .»

كانَتِ الشَّجَرَةُ على بُعْدِ خَمْسَةِ كيلومِتْراتٍ ، وَعِنْدَما وَصَلا إلَيْها ، كانا مُتْعَبَيْنِ ، فاسْتَلْقَيا تَحْتَها لِيَسْتَريحا . ثُمَّ حَفَرا تَحْتَها بِقُوَّةٍ

لِمُدَّةِ ساعَةٍ ، لَكِنَّهُما لَمْ يَعْثُرا عَلى شَيْءٍ . وَحاوَلا في مَكانٍ آخَرَ ، فَلَمْ يَجِدا شَيْئًا .

قالَ توم : « لا بُدَّ أَنْ نَأْتِيَ مَرَّةً أُخرى في اللَّيْلِ . » وَكانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعوبَةٍ ، ثُمَّ أَضافَ : « لا بُدَّ أَنْ نُراقِبَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ ، فَسَيَدُلُّنا عَلى المَكانِ الصَّحيحِ . »

وَعادَ الاثْنانِ إِلى الشَّجَرَةِ في اللَّيْلَةِ نَفْسِها ، وَانْتَظَرا هُناكَ حَتّى السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشَرَةَ . وَرَأى كُلٌّ مِنْهُما مَكانَ الظِّلِّ ، وَحَفَرا حُفْرَةً أُخْرى في نِهايَةِ الظِّلِّ ؛ لَكِنَّهُما لَمْ يَجِدا شَيْئًا ، فَحَزِنا .

قالَ هاكِلْبِري : « لا بُدَّ أَنْ نُجَرِّبَ مَكانًا آخَرَ ، يا توم »

« لا بَأْسَ . »

« أَيْنَ نُجَرِّبُ الحَفْرَ ؟ »

أَجابَ توم : « في البَيْتِ الَّذي تَسْكُنُهُ الأَشْباحُ . ذَلِكَ هُوَ المَكانُ . ذَلِكَ البَيْتُ القَديمُ هُناكَ . »

قالَ هاكِلْبِري بِبُطْءٍ : « أَنا لا أُحِبُّ البُيوتَ الَّتي تَسْكُنُها الأَشْباحُ لأَنَّها أَسْوَأُ مِنَ المَوْتى . وَهَذِهِ البُيوتُ مَلآنَةٌ بِالأَرْواحِ ، وَتَظْهَرُ لَكَ بِهُدوءٍ . وَأَنا لا أَتَحَمَّلُ هذا النَّوْعَ مِنَ الأَشْياءِ ، يا توم ،

وَلا أَحَدَ يَسْتَطيعُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ توم : « لَكِنَّ الأَرْواحَ تَهيمُ بِاللَّيْلِ فَقَطْ ، يا هاك ، وَلا تَهيمُ في النَّهارِ . هَلْ رَأَيْتَ أَبَدًا روحًا في بَيْتٍ مَسْكونٍ بِالأَشْباحِ في أَثْناءِ النَّهارِ ؟ كَذَلِكَ لَمْ يَرَ أَحَدٌ مُطْلَقًا روحًا في هَذا البَيْتِ . لَقَدْ شوهِدَ ضَوْءٌ أَزرَقُ بِالقُرْبِ مِنَ النَّوافِذِ وَلا شَيْءَ آخَرُ . »

كانَ هاكِلْبِري لا يَزالُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ ، لَكِنَّهُ قالَ : « رُبَّما تَكونُ عَلى صَوابٍ . سَنَذْهَبُ وَنُجَرِّبُ فَقَطْ في أَثْناءِ النَّهارِ . »

وَهَبَطَ الاثْنانِ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ حَتّى شاهَدا البَيْتَ الَّذي تَسْكُنُهُ الأَشْباحُ . وَكانَ البَيْتُ خاوِيًا وَقائِمًا وَحْدَهُ ، وَكانَتِ الحَديقَةُ مَمْلوءَةً بِأَعْشابٍ طَويلَةٍ ، وَالسّورُ الَّذي يُحيطُ بِهِ مُتَهَدِّمًا ، وَقَدْ سَقَطَ جُزْءٌ مِنَ السَّقْفِ ، وَالنَّوافِذُ خالِيَةً مِنَ الزُّجاجِ . وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ الوَلَدانِ لِلَحْظَةٍ ، لَكِنَّهُما لَمْ يُشاهِدا أَيَّ ضَوْءٍ وَلَمْ يَقْتَرِبا مِنَ البَيْتِ بَلْ عادا إِلى القَرْيَةِ سائِرَيْنِ وَسْطَ الأَشْجارِ .

الفصل العشرون

في البَيْتِ المسكون

في السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشرَةَ مِنْ صَباحِ اليَوْمِ التّالي وَصَلَ الوَلَدانِ إلى الشّجَرَةِ المَيّتَةِ مَرّةً أخرى ؛ فَقَدْ جاءا لأَخْذِ الأَدَواتِ الّتي تَرَكاها هُناكَ . وَلكِنّهُما تَذَكّرا أنّ اليَوْمَ كانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ .

قالَ توم : « يَجِبُ ألا نَذْهَبَ إلى ذَلِكَ البَيْتِ في يَوْمِ الجُمُعَةِ ؛ لأنّهُ غَيْرُ مأمونٍ ؛ فَيَوْمُ الجُمُعَةِ لَيْسَ يَوْمَ سَعْدٍ . »

وَغادَرَ الاثْنانِ المَكانَ وَعادا إلَيْهِ في اليَوْمِ التّالي ، وَحَمَلا أدَواتِهِما إلى البَيْتِ المَسْكونِ بِالأشْباحِ ثُمّ دَخَلاهُ . وَكانَ المَكانُ هادِئًا وَمُخيفًا . وَشَعَرا بِالخَوْفِ ، وَتَكَلّما في هَمْسٍ وَبِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ . وَلاحَظا أنّ أرْضَ البَيْتِ مُسْتَوِيَةٌ ، وَأنّ بَعْضَ دَرَجاتِ سُلّمٍ تَقودُ إلى غُرْفَةٍ أخْرى في الطّابَقِ العُلْوِيّ .

وَلَمْ يَعْثُرا عَلى شَيْءٍ في الغُرْفَةِ السُّفْلِيّةِ ، فَتَرَكا أدَواتِهِما في رُكْنٍ ثُمّ صَعِدا إلى الدّوْرِ العُلْوِيّ . وَلكِنّهُما لَمْ يَجِدا شَيْئًا هُناكَ وَقَرّرا النُّزولَ إلى أسْفَلَ مَرّةً أخرى . وَفَجْأةً سَمِعا صَوْتًا فاخْتَفَيا في الحالِ .

هَمَسَ توم لِزَميلِه : « لا تَتَحَرّكْ ! »

اسْتَلْقى الاثْنانِ عَلى الأرْضِ وَراحا يَنْظُرانِ إلى أسْفَلَ مِنْ خِلالِ بَعْضِ الثُّقوبِ ، وَاسْتَطاعا أنْ يُشاهِدا الغُرْفَةَ كُلّها بِوُضوحٍ . وَدَخَلَ رَجُلانِ البَيْتَ ، فَقالَ كُلٌّ واحِدٍ مِنَ الوَلَدَيْنِ لِنَفْسِهِ : « هُناكَ ذَلِكَ الإسْبانيُّ العَجوزُ وَهُوَ أبْكَمُ ، وَلكِنّي لَمْ أرَ الرّجُلَ الآخَرَ مِنْ قَبْلُ . »

كانَ شَعْرُ الإسْبانيّ طَويلاً أبْيَضَ اللّوْنِ ، وَقَدْ وَضَعَ عَلى عَيْنَيْهِ نَظّارَةً خَضْراءَ اللّوْنِ . وَقَدْ رَآه أشْخاصٌ كَثيرونَ في المَدينَةِ وَلكِنْ أحَدًا لَمْ يَعْرِفِ اسْمَهُ . وَجَلَسَ الإسْبانيُّ عَلى الأرْضِ ، وَتَحَدّثَ مَعَ زَميلِهِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ .

قالَ هاكِلْبِري : « إنّ الإسْبانِيّ يَتَكَلّمُ ! كُنْتُ أظُنّ أنّهُ أبْكَمُ . » وَأبْدى توم إشارَةً فَصَمَتَ هاكِلْبِري .

قالَ أحَدُ الرّجُلَيْنِ : « أنا لا أوافِقُ ، لأنّ الأمْرَ غَيْرُ مأمونٍ . »

صاحَ الإسْبانِيُّ : « غَيْرُ مأمونٍ ! »

وَدَهِشَ توم وَهاكِلْبِري لأنّ الرّجُلَ لَمْ يَكُنْ إسْبانِيًّا .

كانَ الصَّوْتُ يُشْبِهُ صَوْتَ رد جو .

قالَ رد جو: « هَذا المكانُ غَيرُ آمِنٍ ، وَكانَ يَجِبُ ألا نأتِيَ إلى هُنا .»

« أنا أعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُناكَ مَكانٌ أفْضَلُ مِنْهُ . أرَدْتُ أنْ أتْرُكَ هَذا المَنْزِلَ وَلَكِنَّ هَذَيْنِ الوَلَدَيْنِ كانا هُناكَ ، وَيُمْكِنُهُما أنْ يُشاهِداهُ . كَيْفَ يُمْكِنُنا السَّفَرُ إلى خارِجِ البِلادِ ؟»

وَارْتَعَشَ الوَلدانِ .

قال جو : « أنْصِتْ .. اذْهَبْ إلى أعْلى النَّهْرِ ، وَانْتَظِرْ هُناكَ . سَأذْهَبُ إلى المَدينَةِ مَرَّةً أخْرى ، وَسَأنجِزُ بَعْضَ المَهامِّ ثُمَّ نُنَفِّذُ خُطَّتَنا وَنَذْهَبُ إلى تكساس .»

اسْتَمَرَّتِ المُحادَثَةُ بِهُدوءٍ لِبَعْضِ الوَقْتِ ، ثُمَّ اسْتَلْقى جو عَلى الأرْضِ وَقالَ : « سَأنامُ ، وَامْكُثْ أنْتَ مُسْتَيْقِظًا لِتُراقِبَ المَكانَ .»

راقَبَ الرَّجُلُ الآخَرُ المَكانَ لِوَقْتٍ قَصيرٍ ، ثُمَّ أغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَفي لَحَظاتٍ اسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ أيْضاً .

هَمَسَ توم لِزَميلِهِ : « وَالآنَ ها هِيَ ذي فُرْصَتُنا قَدْ حانَتْ .. هَيّا .»

بَدَأ توم يَتَحَرَّكُ في اتِّجاهِ السَّلالِمِ ، لَكِنَّ هاكِلْبِري كانَ خائِفاً ،

فَلَمْ يَنْهَضْ مِنْ مَكانِهِ ، بَلِ انْتَظَرَ . خَطا توم عَلى أرْضِيَّةِ الحُجْرَةِ خُطْوَةً واحِدَةً ، فَأحْدَثَتْ طَقْطَقَةً عالِيَةً ، فَتَوَقَّفَ وَانْبَطَحَ عَلى الأرْضِ . وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الوَلدانِ ، وَكانَ عَلَيْهِما أنْ يَنْتَظِرا .

وَعِنْدَما غَرَبَتِ الشَّمْسُ نَهَضَ جو مِنْ نَوْمِهِ ، وَابْتَسَمَ عِنْدَما رَأى حارِسَهُ نائِماً ، وَأيْقَظَهُ قائِلاً : « إنَّكَ حارِسٌ مُمْتازٌ . أ لَسْتَ كَذَلِكَ ؟ حانَ الوَقْتُ لِلذَّهابِ . ما الَّذي سَنَفْعَلُهُ بِالمالِ ؟ لا يُمْكِنُنا حَمْلُ الدّولاراتِ في كُلِّ مَكانٍ . لا بُدَّ أنْ نُخْفِيَها .»

وَنَزَعَ الرَّجلانِ صَخْرَةً وَراحا يَدْفِنانِ النُّقودَ تَحْتَها . وَكانَ الوَلدانِ يَقومانِ بِبَعْضِ الإشاراتِ وَقَدْ لَمَعَتْ عُيونُهُما . نُقودٌ ! وَلَكِنَّهُما لَمْ يَسْتَطيعا الكَلامَ لأنَّ الوَضْعَ غَيْرُ آمِنٍ ، فَراقَبا الرَّجُلَيْنِ فَقَطْ .

عِنْدَما كانَ جو يَحْفِرُ الأرْضَ ارْتَطَمَ سِكّينُهُ بِشَيْءٍ ، فَصاحَ : « يا لَها مِنْ مُفاجَأةٍ !»

سَألَهُ رَفيقُهُ: « ما الأمْرُ ؟»

رَدَّ جو : « قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ ! لا ! إنَّهُ صُنْدوقٌ . تَعالَ هُنا ساعِدْني .. سَنَنْظُرُ فيه . لَقَدْ أحْدَثْتَ ثُقْباً في الخَشَبِ .»

وَضَعَ جو يَدَهُ في الصُّنْدوقِ ثُمَّ أخْرَجَها وَهَتَفَ : « نُقودٌ ! إنَّهُ مَلآنٌ بِالنُّقودِ !»

وَفَحَصَ الرَّجُلانِ النُّقودَ بِشَغَفٍ . كانَتْ نُقوداً ذَهَبِيَّةً ، مِمَّا أثارَ الرَّجُلَيْنِ ، وَكَذَلِكَ توم وَهاكِلْبِرِي .

قالَ رَفيقُ جو: « يَجِبُ أنْ نُسْرِعَ بِهَذا الكَنْزِ !» ثُمَّ ذَهَبَ إلى رُكْنِ الغُرْفَةِ . وَكانَتْ أدواتُ توم وهاكِلْبِرِي هُناكَ ، فَتَناوَلَها وَعادَ بِها إلى جو الَّذي جَذَبَ الصُّنْدوقَ مِنْ مَكانِهِ وَأخْرَجَهُ ، وَلَمْ يَكُنِ الصُّنْدوقُ كَبيراً . وَفَحَصَ الرَّجُلانِ كَنْزَهُما بِعُيونٍ بَرَّاقَةٍ لامِعَةٍ ، وَتَرَكا العُمْلاتِ الذَّهَبِيَّةَ تَتَساقَطُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِما ، وَهُما في فَرَحٍ وَبَهْجَةٍ وَسُرورٍ .

قالَ جو : « إنَّها أُلوفٌ مِنَ الجُنَيْهاتِ الذَّهَبِيَّةِ !»

رَدَّ صَديقُهُ : « اعْتادَ رِجالُ موريل الحُضورَ إلى هُنا .»

قالَ جو : « نَعَمْ ، وَهُوَ كَنْزُهُمْ .»

قالَ الآخَرُ : « لا حاجَةَ لَكَ الآنَ لِعَمَلِ الشَّيْءِ الآخَرِ . أقْصِدُ تِلْكَ الخُطَّةَ الأُخْرى .»

رَدَّ جو : « سَأُنَفِّذُها . لا بُدَّ أنْ نَدْفِنَ هَذا الكَنْزَ مَرَّةً أُخْرى .» (وَسُرَّ الوَلَدانِ لِذَلِكَ) ثُمَّ تابَعَ جو كَلامَهُ قائِلاً : « أَوَّلاً كِدْتُ أنْسى ، لِماذا كانَتْ هَذِهِ الأدواتُ هُناكَ في الرُّكْنِ ؟ (ارْتَعَبَ الوَلَدانِ عِنْدَ سَماعِهِما العِبارَةَ الأخيرَةَ) مَنِ الَّذي جاءَ بِها إلى هَذا

المَكانِ ؟ لا . لَنْ نَدْفِنَ النُّقودَ مَرَّةً أُخْرى . سَوْفَ يَعْثُرُ عَلَيْها شَخْصٌ إذا دَفَنَّاها كَما كانَتْ . سَآخُذُها إلى مَخْبَئي .»

رَدَّ زَميلُهُ : « هَلْ تَقْصِدُ المَكانَ رَقْمَ (واحِد) .»

أجابَ جو : « لا .. أقْصِدُ المَكانَ الَّذي رَقْمُهُ ‹ اثْنانِ › تَحْتَ المُثَلَّثِ . لكِنْ لِمَنْ هَذِهِ الأدواتُ ؟ هَلْ أحْضَرَها الوَلَدانِ ؟ (يَقْصِدُ توم وهاكِلْبِرِي) هَلْ هُما في أعْلى السُّلَّمِ ؟»

بَدَأَ رد جو يَرْتَقي السُّلَّمَ ، وَدَقَّ قَلْبا الوَلَدَيْنِ دَقًّا عَنيفاً ، وارْتَعَشَتْ أرْجُلُهُما ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُما قَدَما رد جو الثَّقيلَتانِ . وَفَجْأةً انْكَسَرَتِ الدَّرَجَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَسَقَطَ مِنْ فَوْقِ السُّلَّمِ إلى الأرْضِ .

قالَ زَميلُهُ : « ما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟ هَلْ تُحاوِلُ كَسْرَ عُنُقِكَ ؟ فَإذا كانا في أعْلى السُّلَّمِ ؛ فَيُمْكِنُ أنْ يَظَلَّا هُناكَ ، وَلَنْ يَعْثُرا عَلَيْنا في الظَّلامِ .»

وافَقَ جو وَخَرَجَ الرَّجُلانِ مِنَ المَبْنى . وَلكِنَّهُما أخَذا صُنْدوقَ النُّقودِ مَعَهُما .

هَبَطَ توم وَهاكِلْبِرِي السُّلَّمَ إلى الأرْضِ .

قالَ توم : « يَجِبُ أنْ نُراقِبَ رد جو. لا بُدَّ أنْ نَتْبَعَهُ إلى المَكانِ ‹ اثْنانِ › . ما هُوَ رَقْمُ ‹ اثْنانِ › يا هاك ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري : « لَسْتُ أعْرِفُ . وَثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ ، فَقَدْ قالَ جو إنَّهُ يُريدُ أنْ يُنْجِزَ أعْمالاً مُعَيَّنَةً ؛ فَهَلْ تَتَذَكَّرُ ؟ كَما أنَّ الاثْنَيْنِ سَيَذْهَبانِ إلى تكساس ، فَما هِيَ خُطَّتُهُ يا توم ؟ ما الَّذي يُريدُ أنْ يَفْعَلَهُ ؟ هَلْ يُريدُ أنْ يَقْتُلَنا ؟»

الفصل الحادي والعشرون

الرَقْمُ اثنان

عَكَّرَتْ مُغامَراتُ اليَوْمِ أحْلامَ توم في تِلْكَ اللَّيْلَةِ . رأى فيما يَرى النّائِمُ أنَّهُ في البَيْتِ المَسْكونِ بالأشْباحِ مَرَّةً أخْرى ، وأنَّهُ كادَ يَحْصُلُ عَلى الكَنْزِ بَعْدَ أرْبَعِ مُحاوَلاتٍ . وَاسْتَيْقَظَ مِن نَوْمِهِ أرْبَعَ مَرّاتٍ دُونَ أنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ .

بَعْدَ تناوُلِ طَعامِ الفُطورِ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لِيَبْحَثَ عَنْ هاكِلْبِري. وَكانَ هاكِلْبِري غاضِباً لِفَقْدِهِ الأدواتِ .

قالَ : « فَقَدْنا النُّقودَ لأنَّنا تَرَكْنا عُدَدَنا هُناكَ . لَمْ نَكُنْ أذْكياءَ . هَلْ كُنّا أذْكياءَ ؟»

رَدَّ توم : « لا بُدَّ أنْ نُتابِعَ رد جو لِنَحْصُلَ عَلى النُّقودِ .»

« وَلَكِنَّنا لَنْ نَجِدَهِ ، يا توم . كُنْتُ أفَكِّرُ في رَقْمِ ‹ اثْنانِ ›

وَلا أَسْتطيعُ فَهْمَ المَقْصُودِ بِهَذا الرَّقْمِ ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْتَ ؟ ما رَقْمُ ‹ اثْنان › ؟»

أجابَ توم : « لا أدْري . رُبَّما يكونُ رَقْمَ بَيْتٍ .»

قالَ هاكِلْبِري : « لا ، لَيْسَ عَلى البُيوتِ هُنا أَرْقامٌ .»

قالَ توم : « رُبَّما يَكونُ رَقْمَ غُرْفَةٍ . رُبَّما يَكونُ غُرْفَةً في فُنْدُقٍ .»

قالَ هاكِلْبري : « رُبَّما يَكونُ كَما تَقولُ . . نَعَمْ . لِلْغُرَفِ أَرْقامٌ . وَلكِنْ هُناكَ فُنْدُقانِ فَقَطْ في المَدينَةِ . هَلْ نَذْهَبُ لِنُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْهِما ؟»

قالَ توم : « انْتَظِرْ هُنا ، يا هاكُ . سَأَذْهَبُ وَأَعودُ حالاً .»

خَرَجَ توم وَغابَ لِمُدَّةِ نِصْفِ ساعَةٍ . وَفي أَحْسَنِ فُنْدُقٍ كانَ شابٌّ يَشْغَلُ الحُجْرَةَ رَقْمَ ‹ اثنان › ، وَكانَ قَدْ شَغَلَها لِوَقْتٍ طَويلٍ . وَلكِنْ في الفُنْدُقِ الآخَرِ كانَتِ الغُرفَةُ رَقْمُ ‹ اثنان › غُرْفَةً غَريبَةً ؛ فَلَمْ يَبْدُ أَنَّ أَحَداً دَخَلَها عَلى الإِطْلاقِ . وَلَمْ يَظْهَرْ أَنَّ أَحَداً خَرَجَ مِنْها أَبَداً إِلّا في اللَّيْلِ . كانَ في الفُنْدُقِ صَبِيٌّ قالَ لِتوم كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الغُرْفَةِ ، وَكانَ يَعْتَقِدُ أَنَّها مَسْكونَةٌ بِالأَشْباحِ .

وَشَرَحَ توم ما اكْتَشَفَهُ لِهاكِلْبِري فَقالَ : « إِنَّ البابَ الخَلْفِيَّ

لِلْغُرْفَةِ يُطِلُّ عَلى شارِعٍ صَغيرٍ . وَلا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ الغُرْفَةَ . وَعَلَيْكَ إِحْضارُ مَجْموعَةٍ مِنَ المَفاتيحِ القَديمَةِ وَسَأُحْضِرُ أَنا بَعْضَها ؛ فَخالَتي لَدَيْها بَعْضُ المَفاتيحِ في المَنْزِلِ . وَسَنُجَرِّبُها في أَوَّلِ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ . رُبَّما تَكونُ غُرْفَةَ رد جو . لَقَدْ قالَ إِنَّهُ أَرادَ الذَّهابَ إِلى المَدينَةِ ، فَإِذا رَأَيْتَه ، يا هاك ، فاتْبَعْهُ »

راقَبا الشّارِعَ الصَّغيرَ القريبَ مِنَ الفُنْدُقِ ، وَلَمْ يُشاهِدا شَيْئاً حَتّى يَوْمِ الخَميسِ ؛ فَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَحْضرا مِصْباحاً مَعَهُما . وَانْتَظَرَ هاكِلْبِري وَحْدَهُ في الظَّلامِ ، وَذَهَبَ توم إِلى البابِ ، وَبَقِيَ هاكِلْبِري مُنْتَظِراً في قَلَقٍ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ . وَفَجْأَةً جرى توم مِنْ أَمامِهِ وَهُوَ يَصيحُ : « اجْرِ .. اجْرِ .» وَجَرى الاثْنانِ حَتّى وَصَلا إِلى مَبْنًى قَديمٍ في أَطْرافِ القَرْيَةِ .

هَمَسَ توم لِصَديقِهِ : « كانَ الأَمْرُ مُرْعِباً ، يا هاك ؛ فَقَدْ أَحْدَثَتِ المَفاتيحُ صَوْتاً عالِياً في القُفْلِ ، وَاعْتَراني خَوْفٌ . وَلَمْ يَصْلُحْ أَيُّ مِفْتاحٍ لِفَتْحِ القُفْلِ . وَلكِنِّي لاحَظْتُ شَيْئاً ؛ فَقَدِ انْفَتَحَ البابُ مِنْ غَيْرِ مِفْتاحٍ ، فَدَخَلْتُ الغُرْفَةَ و ...»

« اسْتَمِرَّ ، يا توم ! ما الذي رَأَيْتَهُ ؟»

« كِدْتُ ، يا هاك ، أَقِفُ عَلى يَدِ رد جو !»

«لا !»

«نَعَمْ ! كانَ مُنْبَطِحاً عَلى الأَرْضِ غارِقاً في النَّوْمِ ، وَذِراعاه مَفْتوحَتانَ عَنْ آخِرِهِما عَلى الأَرْضِ . وَرَأَيْتُ كَأْساً هُناكَ وَكَمِيَّةً كَبيرَةً مِنَ الزُّجاجاتِ .

سَأَلَهُ هاكِلْبِري : « إذا كانَ رد جو نائِماً الآنَ ، فإنَّهُ يُمْكِنُنا الحُصولُ عَلى الصُّنْدوقِ .»

رَدَّ توم : « إذا أَرَدْتَ الحُصولَ عَلَيْهِ ، فاذْهَبْ بِنَفْسِك . لا أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إلى هُناكَ مَرَّةً أُخْرى .»

قالَ هاكِلْبِري : « أَفْتَرِضُ أَنَّكَ على حَقٍّ .» وَبَدا عَلَيْهِ القَلَقُ الشَّديدُ .

وَأَضافَ توم : « لا يُمْكِنُنا عَمَلُ شَيْءٍ عِنْدَما يَكونُ جو هُناكَ . وَلكِنْ لا بُدَّ أَنَّهُ يَخْرُجَ في بَعْضَ الأَحْيانِ ، وَعِنْدَما يَخْرُجُ يُمْكِنُنا أَنْ نَسْتَوْلي عَلى الصُّنْدوقِ .»

قالَ هاكِلْبِري : « سَأُراقِبُ البابَ وَالشّارِعَ ، وَلكِنْ عَلَيْكَ أَنْتَ أَنْ تَأْتي بِالصُّنْدوقِ .»

أَجابَ توم : « نَعَمْ ، سَأَفْعَلُ ذَلِكَ . راقِبِ البابَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَإذا احْتَجْتَ إلَيَّ فَتَعالَ إلى بَيْتِ خالَتي . قَلِّدْ صَوْتَ القِطِّ خارِجَ البَيْتِ وَسَأَسْمَعُكَ ، وَسَآتي عَلى الفَوْرِ .»

الفصل الثاني والعشرون

هاكلبري فِن يَقومُ بِواجِبِه

عادَتْ بِكي ثاتشر مِنْ إجازَتِها ، وَكادَ توم يَنْسى رد جو. وَكانَ هُو وبِكي يَلْعَبانِ أَلْعاباً كَثيرَةً مَعاً . وَحَدَّدَتْ أُمُّها يَوْمَ النُّزْهَةِ في الخَلاءِ ، وَوافَقَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَها .

لَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيَّةُ إشارَةٍ مِنْ هاكِلْبِري في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَلَكِنَّ توم لَمْ يَنَمْ جَيِّداً . وَفي الصَّباحِ تَجَمَّعَ الفِتْيانُ عِنْدَ مَنْزِلِ بِكي . وَكانَ الصِّغارُ مِنْهُمْ فَقَطْ هُمُ الَّذينَ سَيَذْهَبونَ إلى النُّزْهَةِ .

قالَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر : « إنَّهُ طَريقٌ طَويلٌ ، يا بِكي . ابْقَي عِنْدَ إحْدى صَديقاتِكِ وَيُمْكِنُكِ العَوْدَةُ غَداً ، وَبِذلِكَ لَنْ تَتْعَبي .»

قالَتْ بِكي : « سَأَمْكُثُ مَعَ سوزان هاربر .»

وَسارَ الجَميعُ عَلى طُولِ الطَّريقِ في اتِّجاهِ قارِبٍ ، وَسارَ توم مَعَ

بِكي .

قالَ لَها توم : « لا تَمكُثي في بَيْتِ سوزان هاربر . سَنَذهَبُ مَعاً إلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دوجلاس ، فَهِيَ رَقيقَةٌ دائِماً وَتُحِبُّنا . »

فَكَّرَتْ بِكي لَحْظَةً ثُمَّ قالَتْ : « وَلكِنْ ما الَّذي سَتَقولُهُ أُمّي ؟ »

قالَ توم : « كَيْفَ لَها أَنْ تَعرِفَ ؟ »

وَلَمْ يُعْجِبْ ذَلِكَ بِكي ، لكِنَّ توم أَقْنَعَها . و وافَقَتْ عَلى أَنْ تَصْعَدَ مَعَهُ التَّلَّ إلى بَيْتِ السَّيِّدَةِ دوجلاس .

وَتَذَكَّرَ توم صَديقَهُ هاكِلْبِري ، وَقالَ في نَفْسِهِ : « إنَّ هاك رُبَّما يُعْطي الإشارَةَ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَيْهِ لا بُدَّ أَنْ أَعودَ إِلَيْهِ . » لكِنَّ توم أَرادَ أَنْ يَبْقى مَعَ بِكي ، وَقَرَّرَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ .

حَمَلَهُمْ القارِبُ إلى مَسافَةٍ في النَّهْرِ . وَعِنْدَما وَصَلوا إلى الغابَةِ تَرَكَ جَميعُهُمُ القارِبَ ، وَساروا بَيْنَ الأَشْجارِ وَفَوْقَ التِّلالِ . وَكانوا جَميعاً يَحُسّونَ بِالحَرِّ وَشَعَروا بِالتَّعَبِ بَعْدَ وَقْتٍ . ثُمَّ اجْتَمَعوا مَرَّةً أُخْرى لِتَناوُلِ الطَّعامِ وَأَكَلوا كَثيراً مِنْهُ .

بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبوا إلى الكَهْفِ العَظيمِ . وَكانَ مَدْخَلُهُ عالِياً عَلى جانِبِ التَّلِّ . وَكانَ بارِداً وَمُظْلِماً في الدّاخِلِ . وَسارَ الأَوْلادُ عَلى طولِ مَمَرٍّ عَريضٍ ، وَكانَتْ ثَمَّةَ مَمَرّاتٌ أُخْرى عَلى الجانِبَيْنِ .

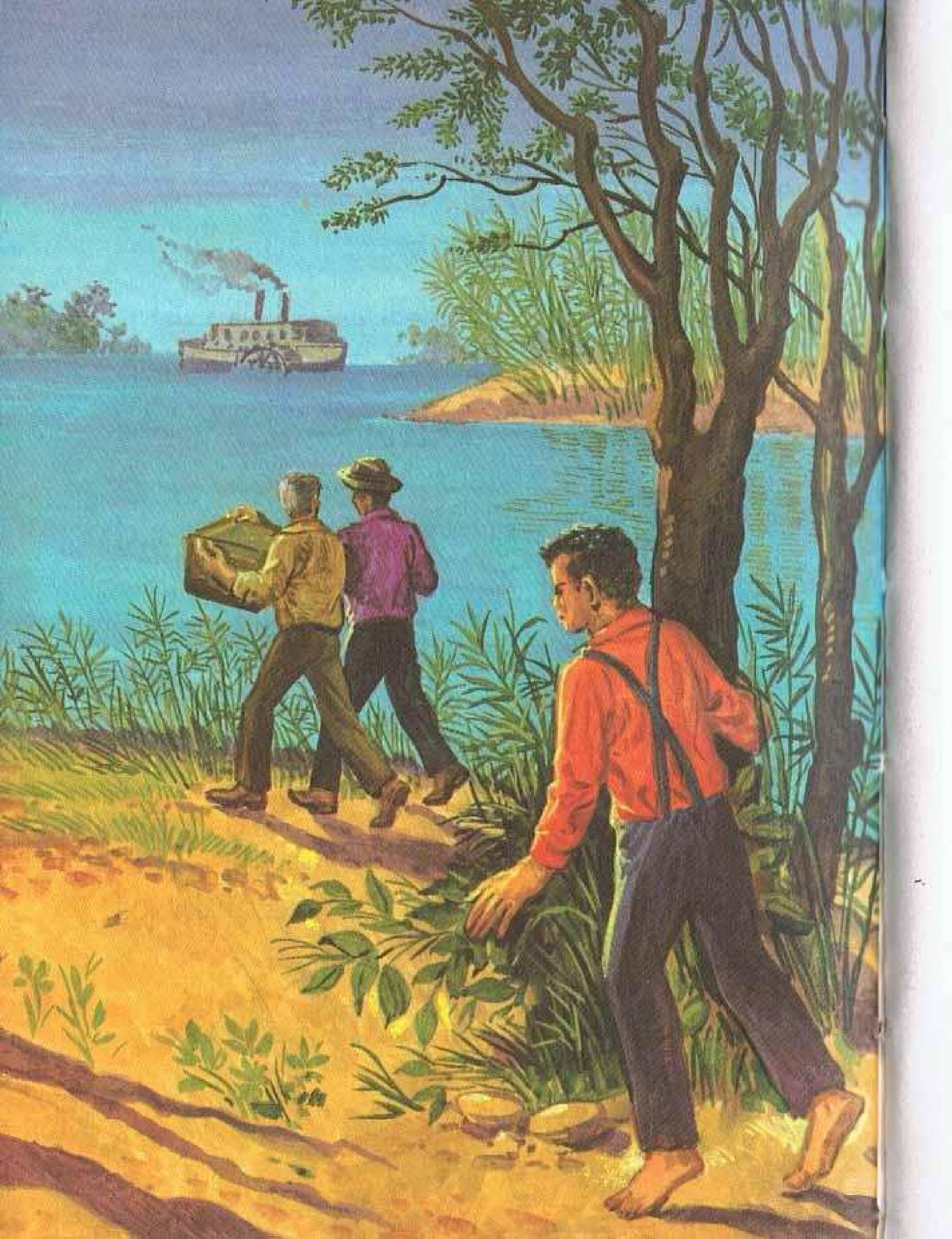
وَكانَ بَعْضُ الأَوْلادَ يَعْرِفونَ بَعْضَ هَذِهِ المَمَرّاتِ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ في العالَمِ يَعْرِفُها كُلَّها لِكَثْرَتِها ، وَكانَ توم نَفْسُهُ يَعْرِفُ مِنْها ما يَعْرِفُهُ غَيْرُهُ .

وَانْقَسَمَ الأَوْلادُ إلى مَجْموعاتٍ داخِلَ الكَهْفِ ، وَراحوا يَتَوَغَّلونَ فيهِ. وَدَخَلوا كُهوفاً أَصْغَرَ عَلى الجَوانِبِ ، وَأَمْضَوْا وَقْتاً طَويلاً فيها . كانَ القارِبُ في انْتِظارِهِمْ عِنْدَما حَلَّ اللَّيْلُ .

عِنْدَما وَصَلَ القارِبُ إلى القَرْيَةِ ، كانَ هاكِلْبِري يُراقِبُ الباب . وَفي السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ أَطْفَأَ أَحَدُ الأَشْخاصِ الأَنْوارَ في الفُنْدُقِ . وَلكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ ، وَكانَ هاكِلْبِري في حاجَةٍ إلى نَوْمٍ عَميقٍ .

وَفَجْأَةً سَمِعَ هاكِلْبِري شَيْئاً ، فَقَدْ أُغْلِقَ البابُ بِخِفَّةٍ ، فاخْتَبَأَ هُوَ في الحالِ . ثُمَّ مَرَّ بِهِ رَجُلانِ ، وَكانَ أَحَدُهُما يَحْمِلُ صُنْدوقاً . لَقَدْ كانا يَأْخُذانِ الكَنْزَ إلى مَكانٍ بَعيدٍ . وَلَمْ يَكُنْ في حاجَةٍ إلى اسْتِدْعاءِ توم ، بَلْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتْبَعَ الرَّجُلَيْنِ ، وأَلا يَفْقِدَ الصُّنْدوقَ .

وَسارَ الرَّجُلانِ عَلى طولِ ضِفَّةِ النَّهْرِ ، ثُمَّ اسْتَدارا نَحْوَ مَمَرٍّ ضَيِّقٍ . وَقادَهُما هَذا المَمَرُّ إلى تَلِّ كارديف ، وَمَرّا بِمَنْزِلٍ . وَكانَ يَعيشُ في هَذا المَنْزِلِ رَجُلٌ مِنْ ويلز يُدْعى السَّيِّدَ جونز ، لكِنَّهُما



لَمْ يَتَوَقَّفا عِنْدَ مَنْزِلِهِ ، وَتَسَلَّقا التَّلَّ وهاكِلْبِري يَتْبَعُهُما .

كانَتِ اللَّيْلَةُ شَديدَةَ الظَّلامِ ، وَفَقَدَ هاكِلْبِري الرَّجُلَيْنِ ، وَلَمْ يَعُدْ يَراهُما في أيِّ مَكانٍ . وَ وَقَفَ لِيُنْصِتَ . وَفَجْأَةً سَعَلَ رَجُلٌ سَعْلَةً خَفيفَةً على بُعْدِ مِتْرَيْنِ تَقْريباً مِنْهُ . وَكانَتْ هَذِهِ مُفاجأَةً مُرْعِبَةً لِهاكِلْبِري . لكِنَّهُ لَمْ يُصْدِرْ صَوْتاً أَوْ صَرْخَةً . وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَرَفَ المَكانَ ، فَقَدْ كانا قَريبَيْنِ مِنْ بَيْتِ السَّيِّدَةِ دوجلاس .

سَمِعَ هاكِلْبِري صَوْتَ جو الغاضِبَ : « إنَّ شَخْصاً مَعَها ، فَهُناكَ أَنْوارٌ في المَنْزِلِ .»

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الآخَرُ : « نَعَمْ ، هُناكَ شَخْصٌ . لا يُمْكِنُكَ عَمَلُ شَيْءٍ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَها . اِنْسَ المَوْضوعَ !»

صاحَ جو : « أَنْساهُ ! لَنْ أَنْساهُ . لَنْ أَحْصُلَ على فُرْصَةٍ مِثْلِ هَذِهِ مَرَّةً أُخْرى . أنا لا أُريدُ مالَها ، لكِنَّ زَوْجَها هُوَ الَّذي أَدْخَلَني السِّجْنَ . نَعَمْ ، دوجلاس أَدْخَلَني السِّجْنَ ! لَمْ أَنْسَ مُطْلَقاً . أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، لكِنَّهُ ماتَ . ماتَ بِسُرْعَةٍ ، وَلكِنَّ الفُرْصَةَ أَمامي الآنَ . سَأُشَوِّهُ جَمالَ هَذِهِ المَرْأَةِ . سَأُمَزِّقُ وَجْهَها . سَأَقْطَعُ أُذُنَيْها أَيْضاً . وَسَتُساعِدُني أَنْتَ . وَسَأَقْتُلُكَ أَنْتَ أَيْضاً إنْ لَمْ تُساعِدْني .»

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ : « إذا أَرَدْتَ مُهاجَمَةَ تِلْكَ المَرْأَةِ ، فَهاجِمْها

بِسُرْعَةٍ . ما الَّذي تَنْتَظِرُهُ ؟»

قالَ رد جو : « لا نستَطيعُ مُهاجَمَتَها الآنَ . سَنَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَما تَنْطَفِئُ الأَنْوارُ .»

أَعْقَبَ هَذِهِ الكَلِماتِ المُرْعِبَة سُكونٌ طَوِيلٌ . وَتَحَرَّكَ هاكِلْبِري بِبُطْءٍ مُبْتَعِداً . وَتَهَشَّمَتْ قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ تَحْتَ قَدَمِه . وَكادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ ، لكِنْ لَمْ تَصْدُرْ مِنَ الرَّجُلَيْنِ أَيَّةُ حَرَكَةٍ . وَاسْتَمَرَّ هاكِلْبِري في سَيْرِهِ بِبُطْءٍ وَبِهُدوءٍ . وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ مَسافَةً كَبيرَةً راحَ يَجْري . وَهَبَطَ التَّلَّ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ جونز ، وَطَرَقَ البابَ فَفَتَحَهُ جونز .

سَأَلَ الرَّجُلُ الطَّارِقَ : « ما الأَمْرُ؟» وَ وَقَفَ ابْناهُ الكَبيرانِ بِجوارِهِ .

رَدَّ عَلَيْهِ الطَّارِقُ : « أنا هاكِلْبِري فِنْ . دَعْني أَدْخُل . أُريدُ أَنْ أَقولَ لَكَ شَيْئاً . إِنَّهُ أَمْرٌ هامٌّ .»

قالَ الرَّجُلُ : « أنا لا أُحِبُّ هَذا الاسْمَ . هاكِلْبِري فِنْ ! لا ! لكِنْ لا بُدَّ أَنْ نَدَعَهُ يَدْخُلُ ، يا أَوْلادُ . إِنَّهُ قَلِقٌ مِنْ شَيْءٍ .»

وَبَعْدَ ثَلاثِ دَقائِقَ كانَ الرَّجُلُ الويلزي وَابْناهُ يَتَسَلَّقونَ التَّلَّ . وَكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً . وَلَمْ يَذْهَبْ هاكِلْبِري مَعَهُمْ . بَلْ اخْتَبَأَ وَراءَ صَخْرَةٍ كَبيرَةٍ وَانْتَظَرَ . وَفَجْأَةً أَطْلَقَ شَخْصٌ

هُناكَ بُنْدُقِيَّةً ، وَسَمِعَ هاكِلْبِري صَرْخَةً ، وَلَمْ يَرُقْهُ ما حَدَثَ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَسْرَعَ يَعْدو هابِطاً التَّلَّ . وَبَعْدَ قَليلٍ كانَ قَدِ ابْتَعَدَ كَثيراً .

الفصل الثالث والعشرون

بَدْءُ البَحْث

عادَ هاكِلْبِري إلى بَيْتِ السَّيِّدِ جونز يَوْمَ الأحَدِ صَباحًا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ مُرَحِّبًا : « تَفَضَّلْ ، تَفَضَّلْ بِالدُّخُولِ . هاكِلْبِري فِنْ ! اسْمٌ جَميلٌ ، وَسَنُرَحِّبُ بِكَ دائِمًا هُنا ، يا بُنَيَّ .»

عِنْدَما دَخَلَ هاكِلْبِري البَيْتَ قَدَّموا لَهُ طَعامَ فُطورٍ شَهِيٍّ . وَسَأَلَ صاحِبُ البَيْتِ : « ماذا حَدَثَ هُناكَ في أعْلى التَّلِّ ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ السَّيِّدُ جونز : « إنَّ وَجْهَكَ شاحِبٌ جِدًّا . هَلْ أَنْتَ مُتْعَبٌ ؟ يَجِبُ أَنْ تَكونَ في الفِراشِ . إنَّنا لَمْ نَقْتُلْهُما ، يا هاكِلْبِري . عثَرْنا على المكانِ ، وَلكِنَّنا لَمْ نَكُنْ مَحْظوظينَ ؛ فَقَدْ سَمِعَنا الرَّجُلانِ ، وَأَطْلَقْنا عَلَيْهِما الرَّصاصَ ، لَكِنَّهُما هَرَبا . وَعِنْدَما تَبِعْناهُما أَطْلَقا عَلَيْنا الرَّصاصَ ، فَواصَلْنا مُطارَدَتَهُما ، وَلَكِنَّنا لَمْ

نَلْحَقْ بِهِما مُطْلَقًا . وَفَقَدْناهُما تَمامًا ؛ فَذَهَبْنا إلى القَرْيَةِ ، وَجَمَعْنا بَعْضَ الرِّجالِ لِلْبَحْثِ عَنْهُما في الغابَةِ اليَوْمَ . هَلْ يُمْكِنُكَ وَصْفُ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؟»

أجابَ هاكِلْبِري : « بِالطَّبْعِ أَسْتَطيعُ . أَحَدُهُما هُوَ الإسْبانِيُّ . أَنْتَ تَتَذَكَّرُهُ . وَالثَّاني رَجُلٌ فَقيرٌ ، مَلابِسُهُ مُمَزَّقَةٌ وَرَثَّةٌ .»

قالَ السَّيِّدَ جونز : « هَذا يَكْفي ، يا هاكِلْبِري . نَحْنُ نَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . لِماذا تَبِعْتَهُما ؟»

أجابَ هاكِلْبِري : « لَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ ؛ فَخَرَجْتُ لأسيرَ بَعْضَ الوَقْتِ ، فَلَمَحْتُهما وكان أَحَدُهُما يَحْمِلُ شَيْئًا تَحْتَ ذِراعِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُما سَرَقا شَيْئًا . وَتَبِعْتُهُما ، فَصَعِدا التَّلَّ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ دوجلاس . وَقالَ الإسْبانِيُّ إنَّهُ يُريدُ أَنْ يُمَزِّقَ وَجْهَها .»

قالَ السَّيِّدُ جونز : « لَكِنَّ الإسْبانِيَّ لا يَسْتَطيعُ الكَلامَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذلِكَ .»

لَقَدِ اقْتَرَفَ هاكِلْبِري خَطَأً ! لَمْ يَرْغَبْ في أَنْ يَقولَ لأيِّ شَخْصٍ عَنْ رد جو ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الويلْزِيَّ كانَ يُراقِبُهُ بِدِقَّةٍ .

قالَ لَهُ : « لا تَخَفْ مِنِّي . لَنْ أَضُرَّكَ ، فَهَذا الإسْبانِيُّ يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . أ لا يَقْدِرُ عَلى الكَلامِ ؟ لَكِنَّكَ لا تُريدُ أَنْ تُخْبِرَني

بِذَلِكَ . لا يُهِمُّ . وَما الّذي تَعْرِفُهُ أيْضاً مِنْ أشْياءَ أخْرى ؟»

نَظَرَ هاكِلْبِري إلى عَيْنَي الرَّجُلِ الصادِقَتَيْنِ لِلَحْظَةٍ ، ثُمَّ قَرَّرَ أنْ يَتَكَلَّمَ .

قالَ : « هَذا الرَّجُلُ هُوَ رد جو .»

وَما إنْ قالَ ذَلِكَ حَتّى كادَ الرَّجُلُ الويلْزي يَقفِزُ مِنْ مَقْعَدِهِ ، ثُمَّ قالَ « آه .. بَدَأتُ أفْهَمُ .»

جاءَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس إلى المَنزِلِ بَعْدَ ذَلِكَ بوَقْتٍ قَصيرٍ .

وَشَرَحَ لَها السَّيِّدُ جونز أحْداثَ اللَّيْلَةِ وَفاجَأتْها القِصَّةُ . وَشَكَرَتْهُ هُوَ وَ وَلَدَيْهِ ، وَقالَتْ : « لَقَدْ ساعَدْتَني كَثيراً . سَأعْتَبِرُ القِصَّةَ سِرًّا وَكأنَّني لَمْ أسْمَعْ شَيْئًا .»

وَلَمْ يَذْكُرِ السَّيِّدُ جونز أيَّ شَيْءٍ عَنِ الدَّوْرِ الّذي قامَ بِهِ هاكِلْبِري في هَذِهِ الأحْداثِ ، لأنَّ هاكِلْبِري أرادَ أنْ يَكونَ بَعيداً عَنْها ، وَقَدْ أخْبَرَ السَّيِّدَ جونز بِرَغْبَتِهِ ، فَوافَقَهُ الرَّجُلُ .

وَفي ذَلِكَ الصَّباحِ الْتَقَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشَر السَّيِّدَةَ هارپر وَسَألَتْها : « هَلْ بِكي لا تَزالُ نائِمَةً ؟» فَقَدْ ظَنَّتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر أنَّ بِكي ذَهَبَتْ إلى بَيْتِ السَّيِّدَة هارپر .

أجابَتِ السَّيِّدَةُ هارپر مُتَعَجِّبَةً : « بِكي ؟»

« نَعَمْ ! ألَمْ تَقْضِ لَيْلَةَ أمْسِ مَعَكِ ؟»

أجابَتِ السَّيِّدَةُ هارپر : « لا .. لَمْ أرَها .»

وَذَهِلَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر ، وَامْتُقِعَ وَجْهُها . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أقْبَلَتْ نَحْوَهُما الخالَةُ بوللي ، وأخْبَرَتْهُما بِأنَّ توم قَدْ هَرَبَ مِنَ المَنْزِلِ ، ثُمَّ سَألَتْ : « هَلْ مَكَثَ في بَيْتِكِ ، يا سَيِّدَةُ هارپر ؟»

أجابَتْها : « لَم يَحْضُرْ إلَينا .»

وَ وَجَّهَتِ الخالَةُ بوللي سُؤالَها إلى جو هارپر : « هَلْ رَأيْتَ توم ، يا جو ؟»

أجابَها جو : « لا ، لَمْ أرَهُ .»

سَألَتْهُ: « مَتى رَأيْتَهُ آخِرَ مَرَّةٍ ؟»

لَمْ يَسْتَطِعْ جو أنْ يَتَذَكَّرَ . وَلَمْ يَرَ أحَدٌ توم أوْ بِكي ، بَلْ لَمْ يَرَهُما أحَدٌ في القارِبِ.

قالَ أحَدُ الأوْلادِ : « رُبَّما لا يَزالانِ في الكَهْفِ .»

كانَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر قَلِقَةً جدًّا ، وَبَكَتِ الخالَةُ بوللي . وَخافَ جَميعُ النّاسِ في القَرْيَةِ . وَنَسِيَ النّاسُ القِتالَ الّذي دارَ في تَلِّ

كارديف . وَأَخْرَجَ الرِّجالُ جِيادَهُمْ وَأَعَدَّ الرُّبّانُ قارِبَهُ . وَذَهَبَ القاضِي ثاتشر مَعَ رِجالٍ آخَرينَ ، وَكانَ القاضِي وَالِدَ بِكي .

كانَ نَحْوُ مِئَتَيْ رَجُلٍ عَلى الطَّريقِ وَفَوْقَ مَتْنِ القارِبِ في النَّهْرِ . وَامْتَطى القاضي حِصانَهُ وَانْطَلَقَ مُنْدَفِعا بِهِ مُتَقَدِّماً الرِّجالَ عَلى الطَّريقِ المُؤدّي إلى الكَهْفِ .

وَكانَتِ القَرْيَةُ خالِيَةً تَماماً عِنْدَما ذَهَبَ الرِّجالُ يَبْحَثونَ عَنْ بِكي . وَانْتَظَرَتِ النِّساءُ طَوالَ اللَّيْلِ ، لكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ .

وَفي الصَّباحِ وَصَلَتْ رِسالَةٌ تَقولُ : « أَرْسِلوا شَمْعاً أَكْثَرَ وَأَرْسِلوا طَعاماً .» وَكادَتِ والِدَةُ بِكي تَموتُ مِنَ الخَوْفِ ، لكِنَّ القاضِيَ زَوْجَها لَمْ يُرْسِلْ إلَيْها رِسالَةً خاصَّةً . وَكانَ عَلَيْها فَقَطْ أَنْ تَنْتَظِرَ .

وَعادَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس إلى بَيْتِ الرَّجُلِ الويلْزِيِّ السَّيِّدِ جونز فَوَجَدَتْ هاكِلْبِري مَريضاً في الفِراشِ . وَكانَ الأطِباءُ في الكَهْفِ، فَجَلَسَتْ بِجِوارِ فِراشِ هاكِلْبِري تَنْتَظِرُ الأَخْبارَ . وَلَمْ تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ توم وَبِكي .

وَفي الصَّباحِ عادَ بَعْضُ الرِّجالِ مِنَ الكَهْفِ ، وَقالوا إنَّهُ لَمْ يُعْثَرْ عَلى توم وبِكي بَعْدُ . وَقالوا أَيْضاً : « إنَّ الرِّجالَ الآخَرينَ يَبْحَثونَ في كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الكَهْفِ . لكِنَّهُ كَهْفٌ كَبيرٌ جِدًّا ، وَعَثَرْنا

عَلى اسْمَيْنِ فَوْقَ الصُّخورِ : توم وَبكي . وَقَدْ كَتَبا اسْمَيْهِما بِدُخانِ شَمْعَتَيْهِما . وَلكِنَّ الاسْمَيْنِ لَمْ يَكونا بِالقُرْبِ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ .»

وَمَرَّتْ ثَلاثَةُ أَيّامٍ وَلَيالٍ مُرْعِبَةٍ بِبُطْءٍ . وَلَمْ يَشَأْ أَيُّ شَخْصٍ في القَرْيَةِ أَنْ يُؤَدِّيَ أَيَّ عَمَلٍ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس لا تَزالُ تَتَرَقَّبُ الأَخْبارَ وَهِيَ بِجِوارِ فِراشِ هاكِلْبِري . وَكانَ الرِّجالُ في الكَهْفِ لا يَزالونَ يَبْحَثونَ ، وَلكِنْ لَمْ يَعْثُرْ أَيُّ واحِدٍ مِنْهُمْ عَلى توم وبِكي .

الفصل الرابع والعشرون

في الكَهْفِ المُظْلِم

تَجَوَّلَ توم وبكي لِمسافَةٍ طَويلَةٍ مَعًا خِلالَ الكَهْفِ ، وَراحا يَتَحَدَّثانِ طَوالَ الوَقْتِ . وَكانَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْمِلُ شَمْعَةً . وَكَتَبا اسْمَيْهِما عَلى الصُّخورِ بِدُخانِ الشَّمْعَتَيْنِ .

وَ وَجَدا مَجْرًى مِنَ الماءِ في مَكانٍ واحِدٍ . وَلاحَظَ توم وُجودَ مَمَرٍّ خَلْفَ المَجْرى المائِيِّ ، فَسارا عَلى طُولِ ذَلِكَ المَمَرِّ لاسْتِكْشافِهِ فَقادَهُما المَمَرُّ إلى أسْفَلَ ، وَبَعْدَ وَقْتٍ أصْبَحا عَلى عُمْقٍ في داخِلِ الكَهْفِ . وَعَمِلَ توم عَلاماتٍ بِدُخانِ الشَّمْعَةِ في أماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ وَقالَ : « هَذِهِ العَلاماتُ سَتُساعِدُنا عَلى مَعْرِفَةِ طَريقِ العَوْدَةِ .»

وَ وَصَلا إلى جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الكَهْفِ . وَكان هذا الجُزْءُ مَليئًا بِالخَفافيشِ ، وَلَمْ يُعْجِبِ الخَفافيشَ الضَّوْءُ المُنْبَعِثُ مِنَ الشَّمْعَتَيْنِ .

وَطارَ خُفّاشٌ إلى شَمْعَةِ بكي وَأطْفَأها . وَقادَ توم بِقَلَقٍ بكي إلى بَعيدٍ عَلى طُولِ مَمَرٍّ آخَرَ ، وَلَكِنَّ الخَفافيشَ تَبِعَتْهُما ، فَهَرَبا إلى مَمَرٍّ آخَرَ ، ثُمَّ إلى آخَر فَتَرَكَتْهُما الخَفافِيشُ . لَكِنَّها كانَتْ تَجْرِبَةً مُزْعِجَةً لَهُما . وَشَعَرا بِالسُّكونِ العَميقِ الَّذي يَمْلأُ المَكانَ .

قالَتْ بِكي : « لَمْ نَسْمَعِ الآخَرينَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ .»

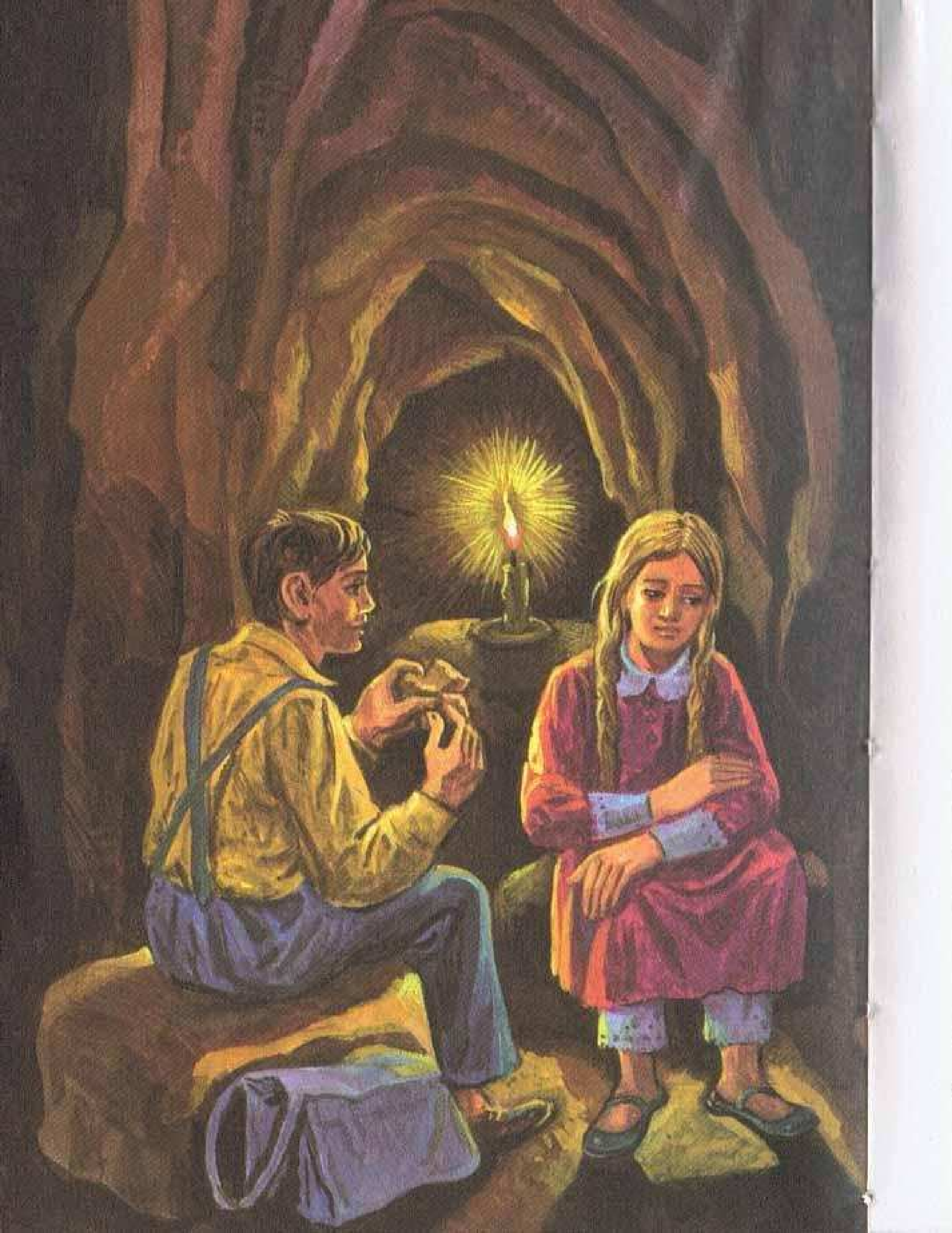
قالَ توم : « نَحْنُ تَحْتَهُمْ ، يا بِكي .»

قالَتْ : « يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَعودَ . هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تَجِدَ الطَّريقَ ، يا توم ؟» فَقَدْ كانَتْ خائِفَةً مِنَ السُّكونِ .

قالَ : « نَعَمْ ، أظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُناكَ تِلْكَ الخَفافيشُ . فَما الَّذي نَفْعَلُه إذا أطْفَأَتْ شَمْعَتَيْنا ؟ يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَعودَ عَنْ طَريقِ مَمَرٍّ آخَرَ .»

وَحاوَلَ الاثْنانِ ، وَسارا مَسافَةً طَويلَةً في السُّكونِ . وَنَظَرَ توم في كُلِّ مَمَرٍّ جَديدٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلى أيٍّ مِنْها ؛ فَتَكَلَّمَ بِمَرَحٍ لِكَيْ يُعْطِيَ بِكي قَدْرًا مِنَ الشَّجاعَةِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ في حَقيقَةِ الأمْرِ سَعيدًا . لَقَدْ ضَلَّ طَريقَ العَوْدَةِ ، وَكانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ . وَبَعْدَ قَليلٍ تَحَوَّلَ إلى أيِّ مَمَرٍّ ، وَلَم يَتَّبِعْ أيَّ خُطَّةٍ .

فَهِمَتْ بِكي المَوْقِفَ وَقالَتْ : « أ لا نَسْتَطيعُ العَوْدَةَ مِنْ نَفْس



الطَّريقِ ، يا توم ؟» ثُمَّ سألْته بقَلَقٍ : « هلْ يُمْكِنُنا أنْ نَجْرِيَ وَنَعْبُرَ مكانَ الخَفافيشِ ؟»

وَتَوَقَّفَ توم لِيُنْصِتَ . لَمْ يَكُنْ هُناكَ صَوْتٌ في الكَهْفِ . صاحَ بِأعْلى صَوْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ رَدٌّ على صِياحِهِ . وَأخافَ الصِّياحُ بِكي وَأزْعَجَها .

صَرَخَتْ بكي : « آهٍ يا توم ! لَنْ نَخْرُجَ مِنْ هُنا أبداً ! لِماذا تَرَكْنا الآخَرينَ ؟»

وَجَلَسَ الاثْنانِ ، وَ وَضَعَ توم ذِراعَهُ حَوْلَ بِكي . لكِنَّها كانَتْ قَدْ فَقَدَتِ الأمَلَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أمَلٌ هُوَ الآخَرُ .

وَفي وَقْتٍ قَصيرٍ تَحَرَّكَ الاثْنانِ مَرَّةً أخْرى ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِما خُطَّةٌ . وَأطْفَأَ توم لَهَبَ شَمْعَةِ بكي ، فَقَدِ احْتاجا إلى شَمْعَةٍ واحِدَةٍ، وَفَهِمَتْ هِيَ جَيِّداً . وَكانَتْ مَعَهُ شَمْعَةٌ أخْرى في جَيْبِهِ ، وَلكِنْ كانَ عَلَيْهِ أنْ يُوَفِّرَ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الشَّمْعِ . وَعِنْدَما تَعِبا جَلَسا ، وَتَحدَّثا عَنْ بَيْتَيْهِما ، وَتَذَكَّرا أصْدِقاءَهُما وَفِراشَهُما المُريحَ ، وَتَذَكَّرا الضَّوْءَ الباهِرَ خارِجَ الكَهْفِ .

وَنامَتْ بِكي قَليلاً ، ثُمَّ واصَلا السَّيْرَ مَرَّةً أخْرى . وَ وَصَلا إلى مَجْرى ماءٍ فَجَلَسا بِجِوارِهِ . وَعَثَرَ توم عَلى بَعْضِ الكَعْكِ في جَيْبِهِ،

وَأعْطى بَعْضَهُ لِبكي قائِلاً: « إنَّهُ مِنْ كَعْكِ النُّزْهَةِ .» وَلَمْ يَأكُلْ نَصيبَهُ كُلَّهُ .

قالَ توم بِرِفْقٍ : « هَذِهِ آخِرُ قِطْعَةٍ مِنَ الشَّمعَةِ ، يا بِكي .» وَتَرَدَّدَ في أنْ يَقولَ : « لا بُدَّ أنْ نَمكُثَ هُنا ؛ فَلَدَيْنا الماءُ هُنا ، وَيُمكِنُنا أنْ نَشْرَبَ مِنْهُ .»

بَعْدَ صَمْتٍ طَويلٍ قالَتْ بِكي : « توم ! إنَّهُمْ سَيَفْتَقِدونَنا ، ألَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَسَوْفَ يَبْحَثونَ عَنّا حَتّى يَجِدُونَا .»

« نَعَمْ .. سَيَعْمَلونَ . مِنَ المُؤكَّدِ أنَّهُمْ سَيَبْحَثونَ عَنّا .»

« رُبَّما هُمْ يَبْحَثونَ عَنّا في هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، يا توم .»

« نَعَمْ . سَتَفْتَقِدُكِ أُمُّكِ عِنْدَما يَعودُ الآخَرونَ إلى بُيوتِهِمْ .»

لَكِنْ تَذَكَّرَ كُلٌّ مِنْهُما شَيئاً في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ يَتَوَقَّعُ عَوْدَةَ بكي إلى بَيْتِها في تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَجَلَسَ الاثْنانِ في صَمْتٍ يُراقِبانِ الشَّمْعَةَ . وَبَدَأ اللَّهَبُ الصَّغيرُ يَرْتَعِشُ . وَفي لَحَظاتٍ صَغُرَ اللَّهَبُ ثُمَّ انْطَفأ . وَأطْبَقَ ظَلامُ الكَهْفِ عَلَيْهِما وَهُما جالِسانِ في سُكونٍ . وَناما فيما بَعْدُ ، لَكِنَّهُما اسْتَيْقَظا في الظَّلامِ .

وَمَرَّتِ السّاعاتُ بَطيئَةً ، ثُمَّ شَعَرا بِالجُوعِ مَرَّةً أخرى . وَكانَتْ قِطْعَةٌ صَغيرَةٌ مِنْ كَعْكَةِ توم قَدْ بَقِيَتْ فاقْتَسَماها وَأكَلاها ، وَلَكِنَّها كانَتْ صَغيرَةً . وَفَجْأةً سَمِعا أصْواتاً بَعيدَةً جِدًّا .

صاحَ توم : « إنَّهُم قادِمونَ ، يا بِكي .» وَسارَ الاثْنانِ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ في اتِّجاهِ الأصْواتِ ، وَلَكِنَّهُما لَمْ يَسْتَطيعا التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ في الظَّلامِ . وَفي وَقْتٍ قَصيرٍ ابْتَعَدَتِ الأصْواتُ مَرَّةً أخرى ، وَعادَ السُّكونُ إلى الكَهْفِ .

وَ وَجَدَ الطِّفْلانِ الحَزينانِ طَريقَهُما إلى الماءِ ، وَناما هُناكَ . وَعِنْدَ اسْتِيقاظِهِما شَعَرا بِجوعٍ شَديدٍ .

وَقَرَّرَ توم أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً ؛ فَلا يُمْكِنُهُ أنْ يَجْلِسَ هُناكَ هَكَذا ، فَأخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ خَيْطاً ، وَرَبَطَ نِهايَتَهُ بِصَخْرَةٍ ، ثُمَّ أمْسَكَ بِالخَيْطِ في يَدٍ واحِدَةٍ ، وَسارَ عَلى طولِ مَمَرٍّ أرادَ أنْ يَسْتَكْشِفَهُ . وَانْتَهى المَمَرُّ عِنْدَ قِطْعَةٍ مِنَ الصُّخورِ . وَفَجْأةً ظَهَرَتْ يَدٌ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، وَكانَتْ تُمْسِكُ بِشَمْعَةٍ . وَصاحَ توم صَيْحَةَ الفَرَحِ ، لَكِنَّ اليَدَ اخْتَفَتْ بِسُرْعَةٍ . وَكانَتْ يَدَ رد جو .

وَ وَجَدَ توم أنَّهُ لا يَسْتَطيعُ الحَرَكَةَ . وَفَرَّ رد جو بَعيداً عِنْدَما رَأى شَخْصاً في الظَّلامِ . وَلَكِنْ بَعْدَ هَذا كانَ توم يَرْتَعِشُ ، وَعادَ إلى

مَوْضعِ الماءِ .

نامَ توم وَبِكي مَرَّةً أخرى . وَعِنْدَما اسْتَيْقَظا أحسّا بِجوعٍ شَديدٍ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُما طَعامٌ . وَاعْتَقَدا أنَّ اليَوْمَ هُوَ يَوْمُ الأَرْبعاءِ أو الخَميسِ . وَقَرَّرَ توم أنْ يَسْتَكْشِفَ مَمَرًّا آخَرَ ، وَ وافَقَتْ بِكي وَقالَتْ بَضَعْفٍ : « عُدْ بَعْدَ قَليلٍ ، يا توم ، فَإذا كُنّا سَنَموتُ فَلْنَمُتْ مَعًا .»

وَطَمْأَنَها توم ، ثُمَّ تَناوَلَ الخَيْطَ في يَدِهِ ، وَذَهَبَ بِبُطْءٍ عَلى طولِ مَمَرٍّ . وَزَحَفَ عَلى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ . وَكانَ جائِعًا وَقَلِقًا ، وَاعْتَقَدَ أنَّ نِهايَتَهُما أصْبَحَتْ قَريبَةً .

الفصل الخامس والعشرون

الأَجْراسُ تُدَقُّ لَيْلاً

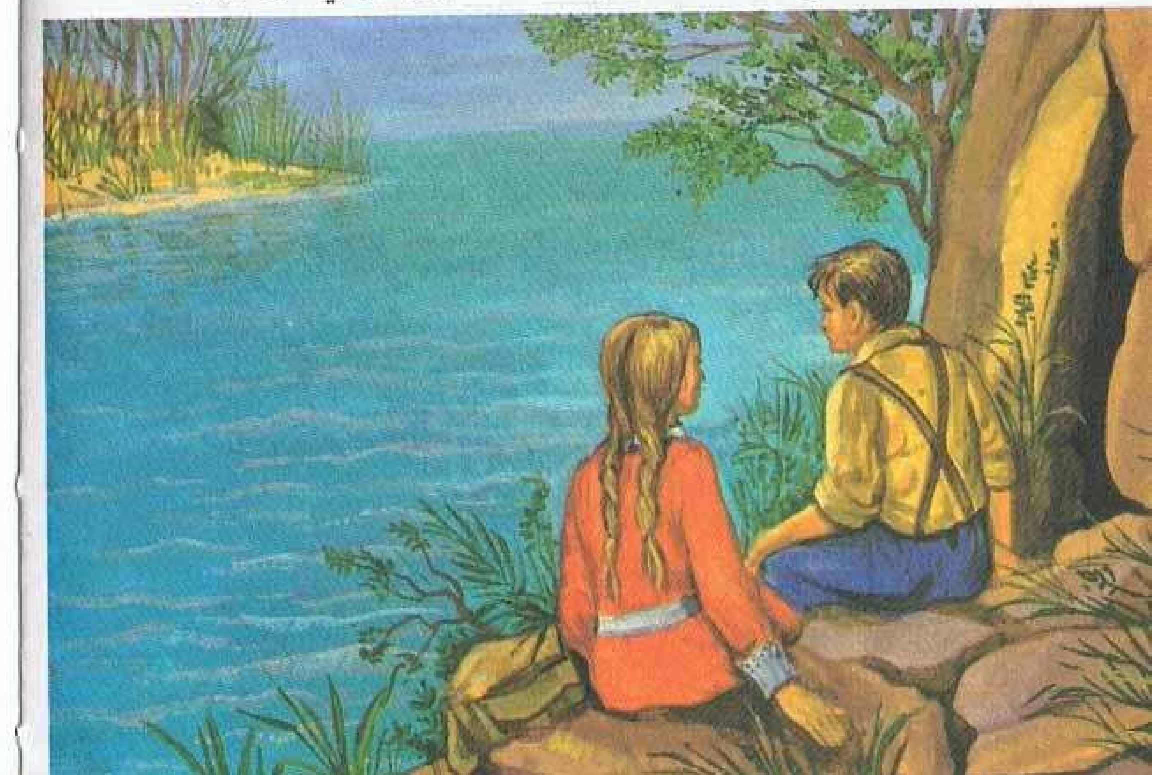
في عَصْرِ يَوْمِ الثُّلاثاءِ كانَتِ القَرْيَةُ لا تَزالُ مَكانًا يُخَيِّمُ عَلَيْهِ الحُزْنُ وَالكَآبَةُ ؛ إذْ فَقَدَ مُعْظَمُ الرِّجالِ الأَمَلَ وَغادَروا الكَهْفَ . وَاشْتَدَّ المَرَضُ بالسَّيِّدَةِ ثاتشر وَالِدَةِ بِكي . وَجَلَسَتِ الخالَةُ بوللي حَزينَةً في بَيْتِها تَنْتَظِرُ .

لكِنْ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَيْقَظَتِ الأَجْراسُ النّاسَ مِنْ نَوْمِهِمْ . وَملأَ رَنينُها العالي القَرْيَةَ كُلَّها . وَصاحَ النّاسُ : « لَقَدْ وَجَدوهُما ! لَقَدْ وَجَدوهُما !»

وَتَحَرَّكَتْ عَرَبَةٌ مَكْشوفَةٌ في الشّارِعِ . وَكانَ بَعْضُ الرِّجالِ يَدْفَعونَها بِأَيْديهِمْ ، وَيَصيحونَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ . وَكانَ توم وَبِكي جالِسَيْنِ في العَرَبَةِ . وَتَلأْلأَ كُلُّ ضَوْءٍ في القَرْيَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ أيُّ

شَخْص إلى فِراشِهِ . وَذَهبتِ العَرَبَةُ بِتوم وَبِكي إلى مَنْزِلِ القاضي؛ وَذَهَبَ النَّاسُ أيْضاً إلى هُناكَ لِيَرَوْهُما ، وَلِكَيْ يُقَبِّلوهُما . كانَتْ لَيْلَةً مُثيرَةً جِدًّا .

كانَ عَلى توم أنْ يَشرَحَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَقالَ : « كانَتْ مَعَنا كَعْكَةٌ وَ وَجَدْنا بَعْضَ الماءِ في الكَهْفِ ، لكِنَّنا كُنَّا نُعاني مِنْ جوع شَديدٍ ؛ لأنَّهُ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ القَليل مِنَ الكَعْكَةِ . تَرَكْتُ بِكي وَاسْتَكْشَفْتُ مَمَرَّيْنِ ، لكِنِّي وَصَلْتُ إلى نِهايَةِ الخَيْطِ . وَما كِدتُ أسْتَديرُ حَتَّى رَأيْتُ بَصيصاً مِنْ نورٍ كانَ مِثْلَ نورِ النَّهارِ ، فَألْقَيْتُ بِالخَيْطِ ، وَدَفَعْتُ بِرأسي خِلالَ فُتْحَةٍ ، ثُمَّ رَأيْتُ نَهْرَ المسيسبي العَظيمَ . كانَ مُدْهِشاً .. حَقًّا مُدْهِشاً . عُدْتُ إلى بِكي وَأخْبَرْتُها



بِما رَأيْتُ . لَمْ تُصَدِّقْني بِالطَّبْعِ ، وَلكِنِّي أخَذْتُها إلى المَكانِ فَرأتِ النّورَ بِنَفْسِها ! »

نَجا توم وبِكي مِنْ خِلالِ الفُتْحَةِ . وَجَلَسا وَهُما في غايَةِ السَّعادَةِ خارِجَ الكَهْفِ . وَراحا يَنْظُرانِ إلى النَّهْرِ العَظيمِ ، ثُمَّ لاحَظا وُجودَ رَجُلَيْنِ في قارِبٍ فَنادَيا عَلَيْهِما . وَعِنْدَما ذَكَرَ توم قِصَّتَهُما لِلرَّجُلَيْنِ، لَمْ يُصَدِّقاها وَصاحا : « إنَّكُما عَلى بُعْدِ ثَمانِيَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ ! » لكِنَّهُما أخَذا الاثْنَيْنِ توم وبِكي إلى بَيْتٍ ، وَقَدَّما لَهُما وَجْبَةَ طَعامٍ . وَتَرَكاهُما يَسْتَريحانِ لِمُدَّةِ ساعَتَيْنِ ، ثُمَّ جاءا بِعَرَبَةٍ ، وَعادا بِهِما إلى قَرْيَتِهِما .

وَذَهَبَ شَخْصٌ إلى الكَهْفِ لِيُخْبِرَ القاضِيَ ثاتشر وَالرِّجالَ الآخَرينَ . وَعادوا بِبَهْجَةٍ وَسُرورٍ إلى بُيوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ أيُّ شَخْصٍ أسْعَدَ مِنَ القاضِي ثاتشر عِنْدَما رَأى ابْنَتَهُ بِكي مَرَّةً أخْرى .

وَسَمِعَ توم أخْبارَ هاكِلْبِري ، وَأرادَ أنْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ. وَسَمِعَ أيْضاً شَيْئاً آخَرَ ؛ فَجُثَّةُ رَفيقِ رِد جو عُثِرَ عَلَيْها في النَّهْرِ . وَظَنّوا أنَّهُ كانَ يُحاوِلُ الفِرارَ ، وَلكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أحَدٌ شَيْئاً عَنْ هذا الرَّجُلِ .

وَذاتَ يَوْمٍ تَحَدَّثَ القاضِي ثاتْشَر إلى توم عَنِ الكَهْفِ ، فَقالَ : « لَنْ يَسْتَطيعَ أحَدٌ الآنَ أنْ يَدْخُلَهُ ؛ فَثَمَّةَ بابٌ حَديدِيٌّ وُضِعَ عَلى المَدْخَلِ . وَلَنْ نَسْمَحَ بِمِثْلِ هذِهِ المُغامَرَةِ ، يا توم ؛ فَهذا الكَهْفُ غَيْرُ

مأمون .»

امْتقعَ وَجْهُ توم وَصاحَ : « إنَّ رد جو يَعيشُ في داخِلِ الكَهْفِ !»

صَرَخَ القاضِي : « ماذا ؟ في الدّاخِلِ ؟ لا بُدَّ أنْ نُخْرِجَهُ في الحالِ .»

وفي دَقائِقَ مَعْدودَةٍ كانَ عددٌ قَليلٌ مِنَ القَوارِبِ يُبْحِرُ في اتِّجاهِ الكَهْفِ مَرَّةً أخرى . وَذَهَبَ توم سُوير مَعَ القاضِي . وَ وَصَلوا إلى الكَهْفِ ، وَفَتَحوا بابَهُ الحَديديَّ . وَ وَقَعَتْ أبْصارُهُمْ على مَشْهَدٍ مُفْزِعٍ ؛ فَقَدْ كانَ رد جو مُمَدَّداً على الأرْضِ مَيِّتاً . وَكان وَجْهُهُ قَريباً مِنْ ثَقْبٍ في الباب وَبِجوارِهِ سِكّينُهُ .

قالَ القاضِي « يا لَلْمِسْكينِ ! حاوَلَ الخُروجَ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ . وَقَدْ كُسِرَتْ سِكّينُهُ . انْظُرْ إلَيْها . لَمْ يَسْتَطِعْ كَسْرَ هَذا البابِ الكَبيرِ بِسِكّينٍ صَغيرَةٍ .»

وَدُفِنَ رد جو بِجِوارِ مَدْخَلِ الكَهْفِ . وَلَمْ يَأسَفْ هاكِلْبِري حَقيقَةً عَلى مَوْتِ جو ، وَكَذلِكَ توم لَمْ يَأسَفْ هُوَ الآخَرُ . وَحَكى لَهُ هاكِلْبِري عَنْ صُنْدوقِ النُّقودِ : « لَقَدْ تَتَبَّعْتُهُ ، يا توم ؛ وَلكِنَّ النُّقودَ لَيْسَتْ في تِلْكَ الغُرْفَةِ بِالفُنْدُقِ .»

أجابَ توم : « أعْرِفُ ذَلِكَ ؛ فالنُّقودُ في الكَهْفِ

يا هاك !»

صاحَ هاكِلْبِري : « في الكَهْفِ ؟»

قالَ توم : « هَلْ تَأتي مَعي لِنَجِيءَ بِها ؟»

« بِالطَّبْعِ سَأفْعَلُ .. أسْتَطيعُ أنْ أسيرَ كيلومِتْرَيْنِ ، يا توم . إنَّني لَسْتُ مَريضاً الآنَ .»

قالَ توم : « نَحْتاجُ إلى أكْياسٍ صَغيرَةٍ وَبَعْضِ الخَيْطِ . وَلا بُدَّ أنْ نَأخُذَ بَعْضَ الطَّعامِ ، وَبَعْضَ عُلَبِ الثِّقابِ .»

وَاصْطَحَبَ توم صَديقَهُ هاكِلْبِري بَعْدَ الظُّهْرِ إلى النَّهْرِ ، وَرَكِبا قارِباً وَأبْحَرا إلى الكَهْفِ ، وَقادَ صَديقَهُ إلى فُتْحَةٍ صَغيرَةٍ خَلْفَ مَجْموعَةٍ مِنَ الشَّجَرِ الكَثيفِ المُلْتَفِّ . وَكانَتْ هَذِهِ الفُتْحَةُ عَلى بُعْدِ ثمانِيَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ .

قالَ توم : « هَذا هُوَ المَكانُ ، يا هاك الَّذي نَجَوْتُ مِنْهُ أنا وَبِكي .»

أخَذَ هاكِلْبِري إلى داخِلِ الكَهْفِ ، وَقادَه عَلى طُولِ مَمَرٍّ . وَكانَتْ شَمْعَتُهُ في يَدٍ واحِدَةٍ وَرَفَعَها إلى أعْلى .

قالَ توم : « انْظُرْ إلى الصَّخْرَة ، يا هاك . هَلْ تَرى ذَلِكَ المُثَلَّثَ هُناكَ ؟ لَقَدْ رَسَمَهُ رد جو بِدُخانِ الشَّمْعَةِ ، فَقَدْ رَأيْتُ رد جو هُنا

وَمعَهُ شَمْعَةٌ . وَدارَ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، ثُمَّ فَرَّ هارِبًا . هَلْ تَذْكُرُ تِلْكَ الكَلِماتِ ؟ « تَحْتَ المُثَلَّث » يا هاك ! كانَ المَكانُ الثّاني تَحْتَ المُثَلَّثِ ؛ فَالرَّقْمُ اثْنانِ هُنا يا هاك . ها هُوَ ذا .»

لَكِنَّ هاكِلْبِري لَمْ يُعْجَبْ بِالمَكانِ ، وَقالَ : « هَيّا نَخْرُجْ مِنْ هُنا يا توم ؛ فَلا بُدَّ أَنَّ روحَ رد جو تَحُومُ في هَذا المَكانِ ؛ فَالأَرْواحُ دائِمًا تُعَسْكِرُ بِالقُرْبِ مِنَ النُّقودِ .» لَكِنَّ توم لَمْ يَهْتَمَّ بِالأَرْواحِ ، وَهَبَطَ مِنَ مَكانٍ أَشْبَهَ بِالتَّلِّ في الكَهْفِ . وَكانَ هاكِلْبِري خائِفًا ، وَلَكِنَّهُ تَبِعَ توم . وَكانَ هُناكَ كَهْفٌ أَصْغَرُ في قاعِ التَّلِّ اسْتَقَرَّتْ فيهِ صَخْرَةٌ عَظيمَةٌ وَتَفَرَّعَتْ مِنْها أَرْبَعَةُ مَمَرّاتٍ . وَفَحَصَها الاثْنانِ دونَ الوُصولِ إلى نَتيجَةٍ ، وَلَمْ يَجِدا صُنْدوقَ النُّقودِ ؛ فَجَلَسا بِحُزْنٍ لِيُفَكِّرا .

فَجْأَةً قالَ توم : « هاك ، انْظُرْ إلى العَلاماتِ هُناكَ بِالقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ . إنَّها عَلاماتُ أَقْدامٍ ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَيْسَ هُناكَ آثارُ أَقْدامٍ في أَيَّةِ أَمْكِنَةٍ أُخْرَى بِالقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ هُناكَ فَقَطْ . لِماذا ؟ إنَّ شَخْصًا اسْتَعْمَلَ الشَّمْعَ هُناكَ أَيْضًا ؛ إذًا فَالنُّقودُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ . سَأَحْفِرُ ، يا هاك ، لأَرَى .»

وَحَفَرَ توم الأَرْضَ بِبَعْضِ الأَخْشابِ ، فَوَجَدَ بَعْضَ الأَلْواحِ فَأَلْقَى بِها بَعيدًا ، وَمِنْ تَحْتِها رَأَى مَمَرًّا ضَيِّقًا .

وَسارَ توم وَهاكلبري بِبُطْءٍ عَلى طُولِ المَمَرِّ ، وَلَم يَكُنِ الأَمْرُ سَهْلاً . وَ وَصَلا إلى نِهايَتِهِ فَوَجَدا الصُّنْدوقَ هُناكَ .

هَتَفَ توم : « ها هُوَ ذا الكَنْزُ هُنا .»

وَتَناوَلَ هاكِلْبِري بَعْضَ هَذِهِ النُّقودِ القَديمَةِ قائِلاً : « نَحْنُ الآنَ أَغْنِياءُ ، يا توم ! وَلَكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ حَمْلَ الصُّنْدوقِ عَلى طُولِ المَمَرِّ .»

أَجابَ توم : « لا . لا بُدَّ أَنْ نَضَعَ النُّقودَ في الأَكْياسِ .»

وَفَعَلا ذَلِكَ ، وَبَعْدَ قَليلٍ كانا خارِجَ الكَهْفِ . وَحَمَلا الكَنْزَ في القارِبِ ، وَأَبْحَرا عائِدَيْنِ إلى القَرْيَةِ . وَعِنْدَما وَصَلاها ، تَقابَلا مَعَ السَّيِّدِ جونز الرَّجُلِ الويلْزِيِّ ، وَأَخَذَهُما إلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دوجلاس حَيْثُ كانَتْ تُقيمُ حَفْلاً حَضَرَهُ كِبارُ رِجالِ القَرْيَةِ .

وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس في انْتِظارِ توم وَهاكِلْبِري ، لَكِنَّها لاحَظَتْ مَلابِسَهُما المُتَّسِخَةَ، فَأَعْطَتْهُما مَلابِسَ أُخْرى نَظيفَةً ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُما حَمّامًا ، وَقالَتْ لَهُما : « انْضَمّا إلَيْنا في الحَفْلِ عِنْدَما تَسْتَعِدّانِ .»

الفصل السادس والعشرون

الذَّهَبُ الأصفر

لَمْ يَكُنْ هاكِلْبِري يُحِبُّ الحَفَلاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ لِقاءَ النّاسِ ، فَقالَ لِتوم : « يُمْكِنُنا الهُروبُ مِنَ النّافِذَةِ ، يا توم . لا أُريدُ أنْ أكونَ بَيْنَ هَؤلاءِ النّاسِ في الدَّوْرِ السُّفْلِيّ . لَنْ أذْهَبَ . »

في هَذِهِ اللَّحْظَةِ فَتَحَ سِيدْ البابَ وَدَخَلَ عَلَيْهِما قائِلاً : « أهْلاً ! انْظُرْ إلى مَلابِسِكَ ! أ لَيْسَتْ قَذِرَةً؟ توم ، إنَّ خالَتي كانَتْ تَنْتَظِرُكَ طُولَ فَتْرَةِ ما بَعْدَ الظُّهْرِ . أيْنَ كُنْتَ؟ »

أجابَ توم : « لَنْ أقولَ لَكَ . ما الَّذي يَحْدُثُ هُنا ؟ لِماذا أقامَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس هَذِهِ الحَفْلَةَ ؟ »

أجابَ سِيدْ : « إنَّها تُحِبُّ الحَفَلاتِ ، وَقَدْ أعَدَّتْ هَذِهِ الحَفْلَةَ لِلرَّجُلِ الويلْزِيِّ ؛ فَقَدْ ساعَدَها بِطَريقَةٍ ما . ما اسْمُهُ ؟ السَّيِّدُ جونز ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَهُوَ يُعِدُّ مُفاجَأةً لِكُلِّ شَخْصٍ . يُريدُ أنْ يَقولَ لَنا

شَيْئاً . كانَ سِرًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ كَذَلِكَ . كُلُّ واحِدٍ يَعْرِفُهُ الآنَ . »

سَألَهُ توم : « وَما هُوَ هَذا السِّرُّ ، يا سِيدْ ؟ »

أجابَ : « إنَّهُ خاصٌّ بِهاكِلْبِري ؛ فَقَدْ تَبِعَ رد جو حَتّى بَيْتِ السَّيِّدَةِ دوجلاس . وَيَعْتَقِدُ السَّيِّدُ جونز أنْ لا أحَدَ يَعْرِفُ هاكِلْبِري ، وَلَكِنَّ الجَميعَ يَعْرِفونَهُ ؛ فَقَدْ أخْبَرَهُم أحَدُهُمْ عَنْهُ . »

سَألَهُ توم : « مَنْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ؟ هَلْ كُنْتَ أنْتَ ، يا سِيدْ ؟ فَأنْتَ تُحِبُّ أنْ تُفْشِيَ أسْرارَ النّاسِ ؛ أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟» وَضَرَبَ توم أخاه سِيدْ عَلى رَأسِهِ ، وَدَفَعَهُ نَحْوَ البابِ قائِلاً : « اذْهَبِ الآنَ وَأخْبِرِ الخالَةَ بوللي عَنّي . »

في الوَقْتِ المُناسِبِ نَهَضَ السَّيِّدُ جونز مِنْ مَكانِهِ ، وَطَلَبَ إلى الجَميعِ أنْ يَصْمُتوا . وَقَصَّ عَلَيْهِمْ حِكايَتَهُ مَعَ هاكِلْبِري . وَلَمْ يَكُنْ هاكِلْبِري يَبْدو سَعيداً ، وَكانَ يَرْتَدي مَلابِسَ نَظيفَةً ، يَكْرَهُها كَما يَكْرَهُ السُّمَّ .

وَعِنْدَما سَمِعَ الحاضِرونَ ما قالَهُ السَّيِّدُ جونز تَظاهَروا بِأنَّهُمْ مُنْدَهِشونَ . وَتَقَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس نَحْوَ هاكِلْبِري وَشَكَرَتْهُ ، وَقالَتْ : « سَأُوَفِّرُ لَكَ مَكاناً لِلْعَيْشِ في مَنْزِلي . وَسَأُرْسِلُكَ إلى المَدْرَسَةِ ، وَأدْفَعُ تَكاليفَ الدِّراسَةِ . وَعِنْدَما تَكْبُرُ سَأُعْطيكَ بَعْضَ المالِ لِكَيْ تَبْدَأ عَمَلاً حُرًّا . »

صاحَ توم : « إنَّ هاكِلْبِري لا يَحْتاجُ إلى مالٍ . إنَّهُ غَنِيٌّ لا تبتَسِموا . إنَّ هاكِلْبِري لَدَيْهِ قَدْرٌ كَبيرٌ مِنَ المالِ . سأُرِيكُمْ ! »

وَكانَ توم وَهاكِلْبِري قَدْ تَرَكا أكْياسَ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ خارِجَ المَنْزِلِ . وَأسْرَعَ توم خارِجاً وَجاءَ بِها وَألْقَى بِالنُّقودِ الصَّفْراءِ على المائِدَةِ ثُمَّ خَرَجَ ثانِيَةً ، وَعادَ بِالأكْياسِ الأخْرى ، وَقالَ : « إنَّ نِصْفَهُ مِلْكٌ لِهاكِلْبِري ، وَالنِّصْفَ الآخَرَ مِلْكي . »

لَمْ يَقُلْ أحَدٌ كَلِمَةً واحِدَةً لِمُدَّةِ لَحْظَةٍ . وَكانَتْ جَميعُ العُيونِ تُحَمْلِقُ في الذَّهَبِ . وَصاحَ أحَدُهُمْ: « اشْرَحْ لَنا الأمْرَ .. اشْرَحْ لَنا الأمْرَ. »

وَشَرَحَ لَهُمْ توم الأمْرَ ، لَكِنَّ ذَلِكَ اسْتَغْرَقَ وَقْتاً طَويلاً .

وَاسْتَمَعَ السَّيِّدُ جونز إلى قِصَّةِ توم في سُكونٍ ، ثُمَّ قالَ في النِّهايَةِ : « ظَنَنْتُ أنَّ عِنْدي مُفاجَأةً وَلَكِنْ هَذِهِ أكْبَرُ مُفاجَأةٍ ! »

الفصل السابع والعشرون

قُوَّةُ المالِ

أثارَتِ النُّقودُ الذَّهَبِيَّةُ قَدْراً كَبيراً مِنَ الأحاديثِ في مَدينَةِ سانت بيترسبرغ ، وَكانَتْ كَمِّيَّتُها كَبيرَةً جِدًّا . وَلَمْ يَشْعُرْ أحَدٌ بِالغَيْرَةِ مِنْ توم وَهاكِلْبِري ، لَكِنَّ أناساً آخَرينَ فَتَّشوا تَحْتَ أراضيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْثُرونَ عَلى صَناديقَ مَمْلوءَةٍ بِالنُّقودِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدوا شَيْئاً .

وَأثارَتِ النُّقودُ الذَّهَبِيَّةُ بَعْضَ المَشاكِلِ لِتوم وَهاكِلْبِري ؛ فَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ مِنْهُما يَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ أعْمالِ البُنوكِ أوْ عالَمِ المالِ . لِذَلِكَ عاوَنَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس الصَّبِيَّ هاكِلْبِري ، وَعاوَنَ القاضي ثاتشر الصَّبِيَّ توم . وَشَرَحَ هَذانِ الشَّخْصانِ الطَّيِّبانِ أشْياءَ كَثيرَةً لِلصَّبِيَّيْنِ .

قالَ القاضي : « إنَّ الأغْنِياءَ مِنَ النّاسِ لا يَحْتَفِظونَ بِأمْوالِهِمْ في صُنْدوقٍ قَديمٍ ، بَلْ يَسْتَثْمِرونَها لِتَجْلِبَ لَهُمْ مَزيداً مِنَ المالِ . »

وَعَمِلَ توم وَهاكِلْبِري بِالنَّصيحَةِ ، وَ وَضَعا أمْوالَهُما في العَديدِ

مِنَ الشَّرِكاتِ الجَيِّدَةِ . وَأَصْبَحا أَكْثَرَ سَعادَةً عِنْدَما حَدَّدا هَذا العَمَلَ ، وَأَصْبَحَ كُلٌّ مِنْهُما غَنِيًّا وَتَنْهالُ عَلَيْهِ الأَمْوالُ بِانْتِظامٍ .

وَأَعْجِبَ القاضِي ثاتشر بِالفَتى توم ، وَتَجَلّى ذَلِكَ عِنْدَما قالَ عَنْهُ : « لَقَدْ أَنْقَذَ الفَتى حَياةَ ابْنَتِي ، وَاهْتَمَّ بِها عِنْدَما هاجَمَتْهُما الخَفافِيشُ . وَعِنْدَما كانَتْ جائِعَةً أَعْطاها بَعْضَ الكَعْكِ . وَ وَجَدَ هُوَ وَحْدَهُ طَرِيقَ الخُرُوجِ مِنَ الكَهْفِ ، وَبِذا أَنْقَذَ حَياتَها .»

وَذَكَرَتْ بِكي لِأَبِيها قِصَّتَها مَعَ كِتابِ ناظِرِ المَدْرَسَةِ ، فَقالَتْ : « مَزَّقْتُ كِتابَ النّاظِرِ خَطَأً . لَكِنَّ توم تَلَقّى اللَّوْمَ نِيابَةً عَنِّي ، وَضَرَبَهُ السَّيِّدُ دوبنز ضَرْبًا شَدِيدًا . لَقَدْ كَذَبَ مِنْ أَجْلِي .»

قالَ والِدُها : « كانَتْ كِذْبَةً نَبِيلَةً . إِنَّهُ شَخْصٌ مُمْتازٌ ، وَقَدْ يُصْبِحُ يَوْمٍ جُنْدِيًّا عَظِيماً . سَأُعاوِنُهُ إِذا احْتاجَ إِلى المالِ .»

وَكانَتْ حَياةُ توم سَعِيدَةً ، لَكِنَّ حَياةَ هاكِلْبِري كانَتْ عَلى عَكْسِ ذَلِكَ . كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْتَدِيَ مَلابِسَ أَنِيقَةً وَيَمْشُطُ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَيَذْهَبَ إِلى الحَفَلاتِ ، وَيُقابِلَ كُلَّ النّاسِ . وَكانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ . كانَ يَنامُ فِي فِراشٍ نَظِيفٍ ، وَيَسْتَخْدِمُ السِّكِّينَ وَالشَّوْكَةَ فِي تَناوُلِ طَعامِهِ . وَتَذَكَّرَ حَياتَهُ القَدِيمَةَ السَّعِيدَةَ فَحَزِنَ .

احْتَمَلَ هاكِلْبِري هَذا التَّغْيِيرَ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَسابِيعَ ، ثُمَّ اخْتَفى ؛ وَلَمْ يُعْثَرْ عَلَيْهِ فِي أَيِّ مَكانٍ . وَفِي اليَوْمِ الثّالِثِ لاخْتِفائِهِ خَطَرَتْ

عَلى بالِ توم فِكْرَةٌ مُفاجِئَةٌ، فَذَهَبَ إِلى مَبْنًى قَدِيمٍ فِي القَرْيَةِ ، هاكِلْبِري أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ فِي الماضِي . وَذَهَبَ توم إِلى المَبْنى ، وَ وَجَدَ هاكِلْبِري ، وَكانَ سَعِيداً ، وَابْتَسَمَ عِنْدَما رَأى توم .

قالَ توم : « لا بُدَّ أَنْ تَعودَ ، يا هاك . إِنَّكَ فَتًى غَنِيٌّ ، وَلا يَجِبُ أَنْ تَعِيشَ فِي مَكانٍ مِثْلِ هَذا .»

ارْتَسَمَ الحُزْنُ عَلى وَجْهِ هاكِلْبِري لَدى سَماعِهِ كَلِماتِ توم ، ثُمَّ قالَ : « لا تَتَحَدَّثْ عَنْ ذَلِكَ ، يا توم . لا أَحْتَمِلُ الحَياةَ فِي ذَلِكَ المَنْزِلِ . إِنَّهُ فَظِيعٌ ؛ السَّيِّدَةُ دوجلاس تَجْعَلُنِي أَسْتَيْقِظُ فِي نَفْسِ الوَقْتِ كُلَّ يَوْمٍ . وَتَجْعَلُنِي أَغْسِلُ وَجْهِي ، وَتَجْعَلُنِي أَمْشُطُ شَعْرِي . وَعَلَيَّ أَنْ أَرْتَدِيَ مَلابِسَ نَظِيفَةً . لا أَسْتَطِيعُ التَّنَفُّسَ بِحُرِّيَّةٍ وَأَنا عَلى هَذِهِ الحالِ .»

قالَ توم : « كُلُّ شَخْصٍ يَفْعَلُ هَذِهِ الأَشْياءَ ، يا هاك .»

أَجابَ هاكِلْبِري : « وَلَكِنِّي لَسْتُ كالآخَرِينَ فَهِيَ لا تَدَعُنِي أُدَخِّنُ غَلْيُونِي ، وَتُرِيدُ إِرْسالِي إِلى المَدْرَسَةِ . أَنا ، يا توم أَذْهَبُ إِلى المَدْرَسَةِ ! لا .. لا .. إِنَّنِي أُحِبُّ حَياتِي القَدِيمَةَ فَهِيَ الأَحْسَنُ .»

رَدَّ عَلَيْهِ توم : « إِذاً تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ شَخْصاً خَشِنَ الطِّباعِ مَرَّةً أُخْرى ؟ إِنَّنِي آسِفٌ ، يا هاك . إِذا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، فَلَنْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْنا . إِنَّنِي أُكَوِّنُ عِصابَةً جَدِيدَةً مِنَ الرِّجالِ . سَنَكُونُ

أفْضلَ منَ القَراصِنَةِ . لَقَدِ اعْتادَ الرِّجالُ أنْ يَسرِقوا النّاسَ في الماضي ، ونَحْنُ نُكَوِّنُ عِصابَةً لِعَمَلِ نَفْس الشَّيْءِ . وَلكِنْ لَنْ يَكونَ مَعَنا رِجالٌ مِنْ ذَلكَ النَّوْعِ الخَشِنِ في عِصابَتِنا . وَلَنْ تَسْتَطيعَ أنْ تنْضَمَّ إلَيْنا إذا تَرَكْتَ السَّيِّدَةَ دوجلاس . فَإذا أخَذْنا رِجالاً خَشِنينَ ، فَماذا سَيَظُنُّ النّاسُ ؟ سَوْفَ يَقولونَ إنَّ عِصابَةَ سويَر هُمْ مَجْموعَةُ رِجالٍ خَشِنين . وَلا أقْبَلُ ذَلِكَ ، يا هاك . فَإمّا أنْ تعودَ إلى المَنْزِلِ ، أوْ تَظَلَّ بَعيداً عَنْ عِصابَتي .»

قالَ هاكِلْبِري بِحزْنٍ : « كُنْتَ دائِماً صَديقي ، يا توم . وَلا أظُنُّكَ تُريدُ أنْ تبْعِدَني عَنْ صُحْبَتِكَ ، أليْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَهُ توم : « لا أريدُ أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ ، يا هاك . لَكِنّي ذَكَرْتُ لَكَ الحَقائِقَ .»

ظَلَّ هاكِلْبِري صامِتاً لِوَقْتٍ طَويلٍ ، ثُمَّ قالَ : « سَأذْهَبُ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دوجلاس لِمُدَّةِ شَهْرٍ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَأقَرِّرُ . وَلَكِنَّكَ سَتَدَعُني أنْضَمُّ إلى عِصابَتِكَ ، يا توم ؟»

« نَعَمْ ، سَأفْعَلُ !»

قالَ هاكِلْبِري بِنُعومَةٍ : « يُمْكِنُني أنْ أخْرُجَ مِنَ المَنْزِلِ أحْياناً . وَسأكونُ مَعَ الزُّمَلاءِ الآخَرينَ ، فَهذا أفْضَلُ مِنْ أكونَ مَعَ هَؤلاءِ القَراصِنَةِ !»

المغامرات المثيرة

١ - مغامرة في الأدغال
٢ - مغامرة في الفضاء
٣ - مغامرة أسيرين
٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ - مغامرة على الشاطئ
٦ - الجاسوس الطائر
٧ - لصوص الطريق
٨ - حمد الغواص الشجاع
٩ - اللصان الغبيان
١٠ - مطاردة لصوص السيارات
١١ - مغامرات السندباد البحري
١٢ - لعبة خطرة
١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ - اللؤلؤة السوداء
١٥ - سر الجزيرة
١٦ - مغامرة في النهر
١٧ - شبح الحديقة وقصص أخرى
١٨ - سر الدرجات التسع والثلاثين
١٩ - الجاسوس و قصص أخرى
٢٠ - مغامرات توم سوير
٢١ - المختطف
٢٢ - الكمبيوتر الرهيب
٢٣ - الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
٢٤ - موسيقى الليل وقصتان أخريان

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198222